جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

# تصدع الهوية وتقصي الذات في الرواية المهاجرة

## رواية الصرصار لراوي حاج ـ أنموذجا ـ

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

1. خولة صحراوي
2. شيماء نبة

إشراف الدكتورة:

* نسيمة زمالي

لجنة المناقشة:

| الاسم واللقب | الرتبة | الصفة |
|---|---|---|
| جنات زراد | أستاذ محاضر - ب - | رئيسا |
| نسيمة زمالي | أستاذ محاضر - أ - | مشرفا ومقررا |
| مكي سعد الله | أستاذ محاضر - ب - | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية: 2020-2021

# شكر وعرفان

بعد الفراغ من هذا العمل لا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل الذي بنعمته تتم الصالحات والذي وفقنا في مشوارنا العلمي والبحثي فله الحمد والشكر من المبتدئ إلى المنتهى

نتقدم بالشكر والامتنان لأستاذتنا الفاضلة زمالي نسيمة التي تفضلت بالموافقة على الإشراف على الرسالة، فوجدنا منها التوجيه السديد ورحابة الصدر، ولم تبخل علينا بشيء فلها منا جزيل الشكر والعرفان.

كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة لهم منا فائق التقدير والاحترام.

وختاما نسأل الله عز وجل أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يجعل لنا من أمرنا رشدا وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا واليه ننيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

| العنـــوان | الصفحة |
|---|---|
| شكر وتقدير | |
| فهرس المحتويات | |
| مقدمة | أ-د |
| مدخل نظري | 17-6 |
| الفصل الأول: مظاهر تصدع الهوية وانهيار خصوصية الأنا في رواية الصرصار | |
| أولا: ماهية الهوية | 26-19 |
| 1-مفهوم الهوية | 19 |
| 2-الهوية في الفلسفة | 23 |
| 3ـ الهوية في علم النفس | 24 |
| 4ـ الهوية في علم الاجتماع | 25 |
| ثانيا: تصدع الهوية | 73-27 |
| 1ـ بمؤثرات داخلية | 27 |
| 2ـ بمؤثرات خارجية | 45 |
| الفصل الثاني: تقصي الذات وإعادة ترميم صدع الهوية في رواية "الصرصار" | |
| أولا: ماهية الذات. | 82-75 |
| 1ـ مفهوم الذات | 75 |
| 2ـ خصائص الذات | 80 |
| 3ـ أبعاد الذات | 81 |
| ثانيا: تقصي الذات | 112-82 |
| الخاتمة | 116-114 |
| قائمة الملاحق | 123-118 |
| قائمة المصادر والمراجع | 133-125 |

# مقدمة

تعتبر الرواية أحد أهم فنون الأدب الحديث الذي استطاع أن يفرض وجوده على باقي الفنون النثرية الأخرى نتيجة ارتباطها بالذات والواقع، وقد ساهمت أزمة العقود الأخيرة في توجيه أقلام الروائيين والخوض في غمار أعمال روائية جديدة تسمح للمؤلف بأن يعكس تلك الفترة المأساوية المتعلقة بالحروب في قالب متميز يسعى به إلى التخلص من الثقل الذي أرهق كاهله باعتبار أن هذا الفن أصبح صوتا من أصوات الضمير العربي الذي ظل يحاول إثبات ذاته وسط كومة من الصراعات والحروب والأزمات التي مست كيانه وطمست هويته.

فقد أصبحت الهوية والبحث عن الذات محل اشتغال واهتمام المفكرين والأدباء في الوقت الراهن، حيث نشأت جملة من المتغيرات وذلك بدخول عصر التكنولوجيا، فظهرت معه مجموعة من المقترحات الحضارية أفرزت بعض التشكيكات حول مفهوم الهوية وخلخلت بعض الثوابت، فأنتجت حالة من التمزق والانشطار وتراجع فكرة الانتماء لدى الأفراد والجماعات.

وبما أن الهوية جزء من الذات والذات مرتبطة بالآخر فإن الهوية تتشكل من خلال علاقة الذات بالآخر، ولطالما كانتا محورا أساسيا في تشكيل الهوية وذلك من خلال الآخر تدرك الذات ذاتها.

وفي ضوء ذلك يطفو إلى السطح موضوع الهجرة والمهاجرين في **الرواية المهاجرة** التي كتبها رّوادها في بلاد الغرب أو المهجر بلغة ذلك الآخر، متناولا نمط حياة الهجرة في البلدان التي يهاجرون إليها مرغمين طلبا حياة جديدة تختلف عن حياتهم التي يرونها بائسة في أوطانهم. إذ تواجههم العديد من المشاكل والصعوبات والتحديات الموزعة بين اللغوي والديني والثقافي والاجتماعي...، لهذا فقد انبرت نصوص **الرواية المهاجرة** على هذا الطرح لتمثيل هذه الظاهرة وتصويرها عبر نماذج بشرية وتجارب عديدة مختلفة.

كما طرحت **الرواية المهاجرة** صورة متكاملة للصعوبات التي يتعرض لها المهاجرين من تغيرات جذرية في كيفية التعامل مع البيئة والثقافة والعادات الجديدة، والمقصد أثناء الهجرة والانتقال من وطنهم.

إن العملية الطبيعية للتواصل البشري مع بيئتهم يجعلهم يشعرون بالغربة وعدم الانتماء للبيئة التي يعيشون فيها، وظلّ هاجس الحفاظ على الثقافة والعادات والتقاليد الوطنية ملازما لهؤلاء المهاجرين ومن جهة التواصل البناء مع الثقافة والبيئة الجديدة من جهة أخرى، يعتبران كجزء من تعقيدات تعامل مجتمع المهاجرين مع السكان الأصليين.

وبما أن الرواية من أكثر الأدوات خلودا لتصوير التحديات التي يواجهها المهاجرون عند لقائهم أو اعتناقهم "الهوية الممزوجة".

فقد تناول العديد من الكتاب العرب في أعمالهم الأدبية موضوع **أزمة الهوية والذات** المرتبطة بالمهاجرين من بينهم الروائي الجزائري **"عمار لخوص"** في رواية **"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"** التي تدور أحداثها حول المهاجرين من دول العالم الثالث الذين هاجروا إلى ايطاليا، يرسم الروائي أزمات هوية المهاجرين والتناقضات الثقافية والاجتماعية والدينية التي تعرضوا لها في البلد المستضيف، إضافة إلى تجربة الروائي اللبناني **"راوي حاج"** والتي نحن بصدد دراستها، روايته المعنونة بـ**"الصرصار"** حيث اتبع طرحا ورؤية جديدة في تقديم صورة متكاملة عن المهاجرين وحالة التصدع التي مست هويتهم، وأهم القضايا التي تطرقت لها الرواية والتي تعكس معاناة الأنا الساردة سواء في الداخل (داخل الوطن) أو في الخارج (خارج الوطن).

ويرجع السبب لاختيارنا موضوع **تصدع الهوية وتقصي الذات** إلى أن الهوية من الموضوعات التي تستوجب الاشتغال عليها في الوقت الراهن والسّعي إلى طَرق موضوع التّصدع لما تبين لنا عدم وفرة دراسات من قبل حول موضوع التصدع الذي مس مختلف الهويات، بالرغم من وفرة أطروحات اشتغلت على موضوع الهوية. كما يرجع السبب أيضا لعدم وجود دراسات خُصصت لموضوع الرواية المهاجرة بالتحديد، وعليه حاولنا الخوض في غمار مغامرة جديدة لنكتشف فيها تجربة الرواية المهاجرة وطرحها لموضوع شائك **"تصدع الهوية"**، وذلك من خلال رواية **"الصرصار".**

وتكمن أهمية الموضوع في جدّته، لذلك وقع اختيارنا على الرواية المهاجرة "**رواية الصرصار" لراوي حاج**" التي قدم فيها الروائي تجربته الانعزالية وبعده عن الوطن الأم وتجربة جُلّ الشخصيات التي عصفت بهم رياح التهجير...، كما طرق تلك الأبواب الموصدة داخل كل إنسان والدفائن السيكولوجية التي يخفيها إضافة إلى تسليط الضوء على تأزم الهوية للشخصيات المهاجرة ورحلة البحث عن مكانة لهم وعن ذاتهم المتأزمة.

وبعد ظهور الرواية المهاجرة التي عالجت أزمة هوية المهاجرين ورحلتهم المتمثلة في البحث عن ذواتهم.

وبناء على هذا ارتأينا أن نطرح جملة من الإشكالات التي ستظُهر مضمون البحث، والتي شغلت تفكيرنا حول هذه الدراسة:

**كيف تصدعت الهوية العربية في الهجرة؟ وكيف حاول هؤلاء المهاجرين تقصي ذواتهم؟** ومنها تتفرع أسئلة فرعية:

- ما العوامل التي أدت إلى تصدع هويات المهاجرين العرب؟
- كيف حاول المهاجرين لملمت ذواتهم وتقصيها؟

وبغية الوصول إلى الإجابة عن هذه الأسئلة معتمدين على آلية من آليات التحليل النفسي والاجتماعي باعتبارها المناهج الأنسب لطبيعة البحث، كون الهوية تدرس باعتماد بعض مقولات علم النفس والمشاكل الاجتماعية للمهاجرين تعتمد على الأغلب نظريات علم الاجتماع والنفس معا.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى: **مدخل** تحت عنوان الرواية المهاجرة، ظروف هجرتها، دوافعها، سماتها، حيث تناولنا فيه مفهوم الرواية المهاجرة واللغة المعتمدة في هذه الروايات وقدمنا دوافع كتابة هذا النوع من الروايات، إضافة إلى نماذج موضوعاتها وكُتاّبها.

أما **الفصل الأول** فقد خصصناه بعنوان: مظاهر تصدع الهوية وانهيار خصوصية الأنا.

وتعرضنا فيه إلى: ماهية الهوية لغة واصطلاحا، والهوية في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، وتطرقنا بعدها إلى عنصرين:

مظاهر تصدع الهوية بمؤثرات داخلية (داخل الوطن).

مظاهر تصدع الهوية بمؤثرات خارجية (خارج الوطن).

وفيما يخص الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: تقصي الذات وإعادة ترميم صدع الهوية، والذي تناولنا فيه عنصرين:

أما العنصر الأول وسمناه بماهية ذات لغة واصطلاحا وخصائصها، أبعادها، بينما العنصر الثاني فقد عُنون بـ: (تقصي الذات ورحلة البحث عن الأنا).

لينتهي البحث بخاتمة كانت خلاصة لما تم تقديمه في بحثنا.

وفي ما يخص مصادر البحث ومراجعه فقد واجهنا صعوبات عدة من بينها صعوبة التحصل على بعض المراجع وذلك لأن دراستنا تتجه للدراسة النفسية أكثر منها أدبية، كما نّنوه أيضا لعدم وجود لدراسات مسبقة تحت عنوان بحثنا لذلك لجأنا لبعض المواقع الالكترونية.

وهذا لا يتعارض مع وجود بعض الكتب ساعدتنا ولو بالقليل في عملنا نذكر منها:

- **الهوية لحسن حسنين حنفي.**
- **سيكولوجية الذات والتوافق لإبراهيم أحمد أبو زيد.**
- **سيكولوجيا العلاقات الجنسية لثيودور رايك، ترجمة ثائر ديب.**
- **صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه لـ الطاهر لبيد.**

ومن ثم ذيلنا بحثنا بسيرة ذاتية للراوي وملخّص الرواية وملحق وقائمة المصادر والمراجع.

# مدخل نظري

**مدخل:**

إن أهم ما يحرك الرواية المهاجرة هو الشعور بالغربة؛ وهو أن يعيش الإنسان في عالمنا هذا، عالم يأبى الاعتراف بالآخر ويرفض مجرد انتمائه إليه وهو من أبرز الظواهر حضورا في العالم العربي وخاصة في الذهن الروائي الحديث، لم يخلو الأدب العربي، كغيره من الآداب الأخرى، من مظاهر القلق والخوف والوحدة والغربة، فظاهرة الاغتراب تضرب بجذورها في عمق المجتمع الإنساني، ولاسيما في العصر الحالي، ربما يعد عصر غربة واغتراب بامتياز يتنوع مفاهيمه وحالاته الموغلة في عمق المجتمع. **«فالفرد يغترب حين يشعر بالتناقض بينه وبين الدولة وبالتالي يولد الشعور بالاستلاب»**[1]. لذلك كانت الكتابة السبيل الأمثل للخوض في غمار هذا الشعور وذاك الضياع، كما أنها معاصرة كشف **«وبحث ترتاد حقائق الوجود بهدف إعادة صياغته من جديد وفق الإطار العام للإنسان الذي يفكر ويتأمل ذاته ويغوص داخلها»**[2] وهذا التأمل يستلزم الانفلات من ثقل العالم الموجود فيه، والتركيز على نقطة نفسية معينة، وذلك ما عبر عنه الكاتب والأديب، وجسد وبقوة هذا الغوص، وعبر عن الغربة ببراعة على أساس أنها معضلة تقوم على شعور الفرد بالانفصال **«لأنه هو الأكثر إمعانا في الشعور بمعنى الحياة والبحث عن حقيقة هذه الأخيرة والتطلع إليها دوما»**[3]على خلاف الواقعي الذي يجهل معناها ويرى العالم قائما على الزائف واللامعقول.

والغربة كما عبر عنها **قيس النويري** هو الانسلاخ عن المجتمع والعزلة أو الانعزال والعجز عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة، وعدم الشعور بالانتماء، بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة[4]. والاغتراب الذي يعيشه

---

[1]- محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 55.

[2]- محمود عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004م، ص 07.

[3]- عمر منيب ادلبي: سرد الذات (فن السيرة الذاتية)، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، ط1، 2008م، ص 65.

[4]- قيس النويري: الاغتراب(اصطلاحا ومفهوما وواقعا)، مجلة علام الفكر، مج10، أفريل، ماي، يوليو، 1985، ص 03.

المرء قد يكون مجبورا عليه كالآسر أو بسبب الحروب التي يعانيها وطنه الأم فيرون الفجوة عن هذا الوطن هي الحل الذي يخلصهم من عناء ما هم عليه. لذلك شكلت هذه الهجرة مصدر الهام وعطاء الروائيين العرب، فسالت أقلامهم بحبر سواده، ليميطوا اللثام عن صور الحنين والاشتياق ويرصدوا الدوافع والأسباب التي رمت بالمهاجر إلى بلد الغرباء، فتتنوع الهجرات وتكثر الفضاءات، وتخلق انعكاسات لتشظي الهويات وتعيش صراعات نفسية واجتماعية مع الغرب المتحضر.

لقد عبّرت النصوص السردية والرواية خاصة، عن جل المكنونات والانهيارات النفسية والتعصبات الذاتية الرافضة للعالم وللوقائع الخانقة لخصوصية الفرد العربي، وبينت لنا فعليا **«اللامواجهة التي تصور الإنسان في حالة اغتراب، وهرب من الواقع بدلا من الكفاح والسعي لتغييره»**[1].

إن مجرد التفكير في أن الذات الإنسانية عالم قائم بذاته، وبإمكانه التصدي لأي مؤثرات خارجية مهما كان نوعها، أمر قد يصعب استيعابه لأن سنة الحياة قد رسمت لهذه الذات صور التواجد بغية التفاعل والاحتكاك بالموجودات الأخرى من أفراد ومؤسسات حتى تضمن البقاء والاستمرارية.

إلا أن الجدليات التي فرضها الواقع بمجرياته ومفارقاته اللامنتهية قد خلقت تناقضات كانت وليدة الظروف والراهن، حتى استعصى على بعض الأفراد التأقلم مع وسطهم، لأن متطلباتهم الفردية الخاصة، بعيدة كل البعد عن المقتضيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ نظرا للخلل الحاصل على مستوى سوء التسيير أو ممارسة بعض الأساليب القمعية المضطهدة لرغبات الإنسان الطامحة خاصة، لتصبح جل المعطيات الخارجية منافية لمبادئه وقناعاته المضمرة في كثير من الأحيان، وإلا إلى خلل سيكولوجي ذاتي أو ربما فيزيقي يحتويه هذا الفرد المنكر للعالم المحيط به فيلجأ إلى الارتماء وسط عالم أعقد بكثير

[1]- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية (تشابهات الإنسان بين الحلم والواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2006م، ص149.

من ذاته المثقلة بهموم الخارج ألا وهو عالم الاغتراب. وتعد هجرة البشر من منطقة إلى أخرى ظاهرة إنسانية قديمة، قدم الإنسان، حيث كانت الظروف الحياتية والمناخية تفرض على الفرد الانتقال من مكان إلى آخر (فالفقر والمجاعات، وانتشار الأمراض، والحروب.. وغيرها) كلها عوامل فرضت على الإنسان الهجرة إلى بلاد الغرب،بحثا عن الحرية والحياة الآمنة المستقرة، فغالبا ما ينتقل المهاجر من المناطق الفقيرة إلى المناطق الغنية **«ولقد عرف تاريخ البشرية حركات هجرات متواصلة لأسباب مختلفة بحيث معظمها في رغبة الإنسان في تحسين أوضاعه».**[1]

الهجرة تعني «**الانتقال بشكل فردي أو جماعي من موقع إلى آخر بحثا عن وضع أفضل اجتماعيا أو اقتصاديا أو دينيا أو سياسيا».**[2]

يعني هذا أن مفهوم الهجرة ينطوي على دوافع وحواجز الهجرة من أجل حياة أفضل للمهاجر، ورغبته في التغلب على الظروف الصعبة، والتوجه نحو المناطق التي بمنظوره توفر له الأمن والاستقرار.

لذلك كانت الكتابات الروائية من بين الأجناس الأدبية التي احتوت وعبرت عن ظاهرة هجرة الكتاب وطغت في جل الأعمال الروائية، فمثل موضوع الهجرة تيمة أساسية للكتابة والنماذج الروائية من أهم الآداب تعبيرا عن معاناة المهاجرين ومواقفهم وآرائهم. فكانت الكتابة الروائية وصفا للذات التاريخية التي يعيشها المهاجر بآمالها وانكساراتها واحباطاتها.

اشتغلت الرواية العربية المعاصرة على موضوع الهجرة، حيث أصبحت تشغل فكر كل روائي عربي، فكانت معظم متونهم تعالج هذه القضية كما فتحت آفاقا للدراسات حول ما تخلفه هذه الظاهرة في بلد الغرب وحياة الاختلافات الفكرية والدينية والنفسية... التي يعيشها المهاجر.

---

[1]- فضيل دليو وآخرون: الهجرة والعنصرية في الصحافة الأوروبية، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، الخروب، قسنطينة، د.ط، 2003، ص 17.

[2]- عبد القادر رزيق المخادمي: الهجرة السرية و اللجوء السياسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2012، ص 15.

والرواية العربية وخاصة في نصوصها التي صدرت في النصف الأخير من القرن الماضي وبداية القرن الجديد، قدمت قراءة أفضل للإنسان العربي في العصر الراهن. إذ صارت الكتابة تعين استنطاق ذاتية الإنسان في أحلامه وانهزاماته واحباطاته، كما أنها لم تغفل عن الغوص في مجاهل روحه المتمزقة والانفتاح على **«كينونة المتكلمة انفتاحا متحررا يقع خارج أسيجة الواقع، والمقتضيات الاجتماعية والارغامات الإيديولوجية»**[1] حيث حملت الرواية العربية بذور الاغتراب في بنيتها الداخلية، وازداد أ: ثر في الروايات التي طرقت الصراع الحضاري، ففي كتابات روسو **«وفي سياق نقده للحضارة والمجتمع الغربي فهو يرى أن الحضارة الغربية سلبت الإنسان ذاته وجعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية والنماذج السلوكية التي أنشأها»**[2] ولا يعني هذا أن الحضارة هي سبب فساد الإنسان وفصله عن الطبيعة التي كانت توفر له الانسجام بين عالمه الداخلي والخارجي، وبلحاقه بهذا التطور فَقَدَ انسجامه وتوافقه مع الطبيعة الأمر الذي أدى إلى تفاقم غربته. يعبر هروب الروائي عن واقعه المأزوم إلى عوالم أخرى، عن انهزامية واغتراب، نتاج معاناة داخلية وخيبات متتالية.

يقرُّ الكثير من الفلاسفة المعاصرين بأن الإنسان المعاصر هو إنسان "**التيه**"، في حين تتحيز ثقافته بأنها نزاعة إلى "**التسكع**" ويشير هذا المفهوم إلى طبيعة العلاقة المتأزمة بين الإنسان وواقعه، بحكم الأنظمة السياسية والاقتصادية التي أنشأتها الرأسمالية الغربية، والذي أعاد صوغ الوجود الإنساني المنهار، بفعل سقوط السرديات الكبرى لعصور الأنوار الحالمة بمجتمع بشري آمن، وكان لأقول تلك الأحلام الإنسانية سببا في ظهور الفلسفات العَدمية، وفلسفات الاغتراب، ودخول المجتمعات في طور من السياق الشرس نحو السيادة الشاملة،

[1]- حسن المودن: الرواية والتحليل النصي (قراءات من منظور التحليل النفسي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 1430-2009م، ص 223.

[2]- بن علي قريش: الاغتراب في الشعر العربي الحديث، 1920-1945، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2007-2008، ص 15.

وبتأثير من "**العولمة**" أضحى الإنسان حبيس الأنماط الثقافية الاستهلاكية، أدَّت به إلى الشعور بالاغتراب عن ذاته وهويته.[1]

فقد عبرت الرواية باعتبارها مرآة تعكس حاضرنا وماضينا عن مواضيع عدة مست الإنسان المعاصر كما سبق وذكرنا، ومن أهم هذه المواضيع" الهوية" التي شغلت الأدباء والمفكرين وعلماء الاجتماع... وأصبحت أزمة العصر بفعل الحروب والعوامل السياسية والاقتصادية حتى أصبحت ظاهرة عالمية تجتاز الكتب والمجلات والمقالات...

كما عرفت الآونة الأخيرة من الزمن تشتتا في الهوية بسبب طبيعة التغيرات التي طرأت على المجتمعات من الحروب واستعمارات، وانهيار القيم وتفكك العلاقات، فتغيرت الأبعاد القومية والاجتماعية، وأصبحت العلاقة بين الإنسان ووطنه من الذكريات فكثرت الهجرات ومست جميع أقطار الشرق العربي. أما الحافز الأول والأهم إلى المهاجر فقد كان طلب الرزق ويتلوه الهرب من الظلم والفساد ومما لا ريب فيه أن هذا الانتقال وقع الجوع والفقر كان السوري يخط طريقه إلى الحياة محاولا التكيف مع البيئة التي وطئها، منهم من كافح للحفاظ على أصله ولغته، وآخر استسلم للغربة مستعيرا لغة الآخر الغربي أداة للتعبير. كما طغت عليه النزعة الواقعية ذلك لأنهم عانوا من الواقع الأمرين، فيهربون إلى الخيال لأنهم وجدوا فيه ضالتهم ووسيلتهم الوحيدة لتعبئة النقص الذي اجتاح نفوسهم جراء مبارحتهم أرض الوطن لقد صورت الروايات حياة هؤلاء الذين بقوا متأرجحين بين الوطن وأرض الاغتراب فوفروا لأنفسهم فيها قيما ثابتة ربطتهم بالأرض الجديدة. ولأن الانتماء هو الهاجس النفسي الأول الذي تسعى إليه الذات قصد إشباعه، من خلال التحاقها بجماعات عديدة ضمن إطارها الاجتماعي، ملتزمة بالعادات والتقاليد والقيم كموجات أساسية لنشاطها داخل الجماعة المنتمي إليها، وهذه الذات قد يعثر الإنسان على ذاته ويضيعها من جديد يعثر على حريته... ويضيعها من جديد في حقل ذات العلاقات القائمة على سعير الاستغلال[2] فقد

[1]- علي بن لونيس: الهوية الثقافية (من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري)، مجلة تمثلات، عدد02، جوان 2015، ص، 143.

[2]- علي بن لونيس: الهوية الثقافية، ص 29.

تتعرض هذه الذات إلى حالة من الانفصام أو الانفصال النسبي أو الكلي عن مجتمعها، أو عن ذاتها نتيجة التناقضات والصراعات، مما يؤدي إلى أمرين: إما أن تنسحب عن الفاعلية المجتمعية وتركن للاختزال والانعزال الطوعي، أو تتمرّد عن العادات والتقاليد المغتربة عن النفس والواقع. ومنه جاءت الذات المهاجرة تعبيرا عن تمرد ونكران وانسلاخ عن الآخر؛ انه قفزة في ظلام النفس ودهاليزها.

وقد أشرنا فيما سبق أن الرواية المهاجرة هي الرواية التي كتبها الروائيون العرب في بلد المهجر أو الغرب. ولم تكن الرواية العربية بمعزل عن التأثر بتلك الحروب التي مرت بها المنطقة العربية.

إن بعض الروائيين العرب منذ دخول الفن لميدان الرواية **«أصبحوا أكثر واقعية في الحديث عن واقعهم وعن نفوسهم. وعكسوا تجاربهم في معظم رواياتهم»**[1] أي أنهم وجدوا ضالتهم في الكتابة الروائية، للتعبير عن جوانب مظلمة أ مضيئة في حياتهم، فحملت الرواية هموم و آراء وأحلام الروائي العربي، ورسم إستراتيجيته الفكرية والجمالية، وعليه فان الرواية كانت طرحا لتعبير عن واقع الإنسان وهموم وطنه.

إن الكثير من النزاعات السياسية، والحروب الأهلية أو الإقليمية التي شهدها العالم العربي أو التي يعيشها اليوم هي في الأصل حروب ذات طابع "هوياتي" سواء أكانت هذه الهوية دينية أم ثقافية أم لغوية، وكان لهذا وقع التأثير في الأدب عامة والرواية المهاجرة على وجه التحديد، فقد عبر الروائيون عن نظرتهم إلى الهوية، إلا أنه هناك واقعان أساسيان أثار بشكل قوي مسألة الهوية منذ منصف القرن العشرين إلى بداية الألفية الثالثة، ويتعلق الأمر بالحركات الاستعمارية التي عصفت بالعالم العربي، فكان في نهاية الاستعمار مرحلة هامة للتفكير في الهويات القومية، والثقافية لدول التي خرجت من التجربة الاستعمارية، وما نجم عنها من هجرة إلى العالم الغربي **«فالألفية الثالثة تكلمنا بلغة العنف الذي يتفجر على نحو لا سابق له، عنف مادي نعيشه ونشاهده في الحروب والانتقامات اليومية ذات**

[1] - سالم المعوش: صورة العرب في الرواية العربية، ص 151.

**الطابع العالمي، وآخر رمزيا ومضاعفا بواسطة العقائد والعناوين الثقافية أو رموز المعنى ومنابع التأويل، هذا المشهد العالمي يجعل الإنساني في مآزق»[1].**

إن الأحداث السياسية والثقافية المتوترة التي شوهدت في تلك الفترة المناخ المناسب لنمو الصراع الحضاري والمعارف الثقافية، فانبلج سؤال الهوية ضمن العلاقات المتوترة بين الذات الغربية التي لبست لبوس الضحية، بعد أن تعرض كبرياؤها لضربات قاسية مست كيانه وبين الذات العربية التي برزت بصورة العدو الذي خرج من كهوف التاريخ ليمارس عنفه على العالم الديمقراطي[2].

هذا وقد استرجعت الرواية العربية كل هذه الأفكار السابقة ذكرها، وبصوت جسد صيغ تلقي تلك الصدمات الحضارية الناتجة عن اجتياح الغرب للوطن العربي، وما انجر عنه انعكاسات في المخيال الروائي، كما في الوعي واللاوعي لدى الإنسان العربي. وجاءت الرواية العربية لتجيب أيضا عن التساؤلات التي تشغل بال الإنسان العربي بصفة عامة والمثقف بالخصوص: لماذا نلجأ إلى الغرب؟ ولماذا هذا الآخر صفح القلوب ونرتمي في أحضانه، ثم سرعان ما تنفر نفوسنا منه؟ في خضم تحدي الغرب السياسي والفكري والأدبي والحضاري... ذلك لأنه **«ومنه رحلة الطهطاوي الشهيرة ونداء "البحث عن الذات" هو الأطروحة المركزية في لهفة المثقف العربي لمعانقة أشواقه يأسا أو هروبا، أو خذلانا من جهة، أو استجابة تفضي إلى مواجهة في إطار التحدي الشامل للغرب (العدو) من جهة أخرى»[3].** وانطلاقا من هذا فقد رحل الروائي العربي إلى الغرب ورآه عن كتب، وصور اللقاء الحضاري انطلاقا من تجاربه الشخصية والروحية والفكرية، واختار فن الرواية ليصب في إطارها تجاربه ومواقعه وصدماته التي عايشها في ظل الهجمات الاستعمارية لأنه سلبه كل

[1]-عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 241.

[2]- بن علي لونيس: الهوية الثقافية، من الاختلاف الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري، مجلة تمثلات، عدد 02، جوان 2015، ص 153.

[3]- عبد الله أبو هيف: القصة العربية الحديثة والغرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1994، ص ص 21- 22.

مظاهر الإنسانية **«ذلك العدوان الآتي من الخارج عسكريا كان أو سياسيا أو اقتصاديا أو فكريا، وبعبارة أخرى هو أثر الخارج على الأمة، متى كان هذا الأثر يجري بغير رضاهما وغير صالحهما»[1].**

وبناءا على ما تقدم نجد أن تلك النصوص السردية تندرج ضمن الرواية الحضارية فجسدت اللقاء الحضاري بينهما تخيلا وتشخيصا على مستوى العادات والتقاليد والمعطيات التنافسية والعلمية وهذه العلاقة التي حددتها النصوص الروائية غالبا ما تخضع سيميائيا على المستوى الرغبة(رغبة الذات في موضوع ما) لقانون الاتصال (الحب والغواية والافتتان والانبهار والجنس).[2] ونتيجة الرحلات التي قام بها المثقف العربي إلى بلاد الغرب، وذلك في سبيل الانتماء إلى الحضارة الراقية، بعد أن تشكلت في أذهانهم صورة نموذجية مثالية عن الغرب، إلا أن الواقع الغربي-الحقيقي- لم يكن كما كان متصورا لأنهم سرعان ما تفطنوا إلى حقيقة الغرب المادي باعتباره فضاء حضاريا مخالفا دينيا وثقافيا عن الفضاء الشرقي الروحاني وكل بيئة مقوماتها الخاصة، سعيا منهم إلى مواصلة البحث عن هويتهم الممزقة والبحث عن ذواتهم الضائعة نتيجة انسلاخه عنها وتبنيه للقيم الغربية، التي جعلت يفقد هويته. وأبسط مثال على ذلك أولئك "المغاربة" الذين تشبعوا بالأفكار العربية الجديدة نتيجة تأثرهم بالمثاقفة عن طريق المدرسة، أدى هذا إلى رفض لعاداتهم ودينهم، وقطعوا الصلة بذويهم وما أن التحقوا بالعالم الغربي المتطور واندمجوا فيه حتى اتّضح لهم الجانب المظلم لهذا العالم، فانكشفت بذلك الحقيقة أمامهم **«فاصطدم هؤلاء بإدانة الأوروبيين لهم، فعاشوا أوضاعا مزرية في أكواخ دون أدنى شروط الحياة، حيث أهينوا في كرامتهم بسبب التمييز العنصري واللاّمساواة، فشعروا بالتمزق والضياع، مما أدى إلى تحطيم صورة الأوروبي**

[1]- إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر عوامل التبادل الحضاري في الكتابات العربية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2008، ص365.

[2]- جميل حمدواي: رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، مجلة الرائد تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام، مقال من الأنترنيت: http//www.arrafid.ar.

**المثالية»**[1]. وهذا التمزق والتشرد هو عصب الأزمة التي تنخر جسر الذات ووعيها في محابتها للآخر الغربي، فكانت الحضارة الأوروبية بمثابة صدمة للذات العربية.

لقد طرحت الرواية المهاجرة موضوع الصراع الثقافي والحضاري بين كل من الشرق والغرب ويكون بذلك الكاتب له موقفا من الذات والآخر، فيكون البطل الروائي في حالة انشطار وتمزق ذاتي أمام الغرب الذي لم يفهمه حق الفهم. كما وظف الروائي صورة الغرب والجنس والأخلاق والقمع والديمقراطية وغيرها.

ومن أهم التيمات التي تناولتها الرواية العربية المهاجرة (الهجرة، الرحيل عن الوطن) كما طرقت من خلالها عددا من الموضوعات التي باتت من هواجس الكتابة الروائية العربية وأهمها: (الانتماء، صراع الحضارات، واختلاف المجتمعات)، **«التعبير عن حالة الوطن الراهنة، الاغتراب عن الذات العربية، والوقوف عن سؤال الهوية المؤرق»**[2] الرحلة نحو البحث عن الذات المتشردة والضائعة.

**الرواية المهاجرة وموضوعاتها:**

لقد تم تناول فقدان الهوية في أكثر من نص روائي، مرافقا لعلاقة الأنا بالآخر الغريب خاصة ما جسده الروائي العربي المهاجر من خلال تصوير العلاقة بين الأنا والأخر (المغاير) على الصعيدين الداخلي والخارجي في تشكل انتقاد وإدانة، وفضح لأوهام الذات وانحرافاتها الفكرية أو الشعورية، مركزين على الآخر (الغربي) الذي اعتبر الكثير من الروائيين السبب في حالات فقدان الهوية والتشرذم الذاتي.

على غرار ما طرحه "**طه حسين**" في روايتيه "**أديب**" وهو شخصية مثقفة تعلقت بالغرب وحضارته إلى حد الانبهار والذوبان، لذلك يضحي بزوجته المتفانية في خدمته وحبه

[1]- إسماعيل حاجم: الصراع الحضاري في الرواية الفرنكفونية المغاربية، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص 185.

[2]- مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، الورق للنشر والتوزيع، 2011، ص ص 39-40.

يطلقها ويرحل إلى الغرب طلبا لعلومه الحديثة وذات القيمة الدافعة إلى التقدم والتطور. ترك موطنه "مصر" وما تحمله من ثقافة وأصالة لشرقية، واستسلاما كليا للغرب.

وهكذا يغامر هذا الأديب ويُلقي بنفسه روحا وفكرا في يم الحضارة الغربية ويهدم على وجهه هناك، فلا يستطيع الرجوع إلى أصله وثقافته، ويُهلك في تلك المغامرة المعقدة؛ ففي رحاب تلك الحضارة يعجز عن مواجهة مفاتن هذه الحضارة؛ وبذلك يطرح طه حسين نمطين من المثقفين العرب المتأثرين بالغرب- المصريين على الخصوص-في فترة ما بين الحربين والنمط الذي استطاع أن يستوعب الغرب مع الحفاظ على أصالته المحلية، والنمط الذي فشل في الصمود أمام الغرب. وعلى العموم كانت الكتابات الروائية في هذه الفترة يغلب عليها هاجس البحث والإحساس بالتميز؛ هوية الذات وهوية المجموع[1].

وقد طرحت رواية: **"كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك"** إشكالية الهويات المتنافرة في المجتمع الأوروبي الهجين، حيث نجده يقدم إطلالة على عالم المهاجرين في روما، حيث نقل لنا معظم المشاكل التي يواجهها المغتربون في ديار الغربة من حرمان وضياع وتميز سواء من طرف الشعب أو من طرف السلطة التي تحرمهم من أبسط حقوقهم.

كما تعالج انصهار هذه الفئة المهاجرة في ثقافة الآخر، حد فقدان الذات مثلما حصل لـ "أميدو" وتصور فشل التعامل مع الآخر ضد الوقوع في العزلة مثلما وقع ما "بارويز منصور صمدي".

بطل هذه الرواية شاب جزائري يدعى "أحمد سالمي" وبعد الاندماج بالثقافة الايطالية غير اسمه إلى "أميدو" لكي يرحب به المجتمع الايطالي.

تدور أحداثها في روما ووقعت تفاصيل هذه الرواية في عمارة جمعت شمل المهاجرين من جنسيات مختلفة، وهذا ما جعله يدخلون في مناوشات وعلاقات تجمع بين التوتر والتعصب... وقد جاء هذا التعصب نتيجة تقيد كل شخص بهويته وأصوله وإخلاصه لها كل ذلك في إطار ثنائية الشمال والجنوب التي وجهت ذلك التوتر الذي أبرز الوجه الخفي

[1]- محمد جاسم الموسوعي: الرواية العربية النشأة والتطور، دار الآداب، بيروت، ط2، 1988، ص، 123.

الايطالي، وتصدع صوتهم من خلال الصراع بين الشمال والجنوب، علاوة على هذا فإن نظرتهم إلى الأجنبي المهاجر، ولو كان ايطالي من الجنوب تعكس حقا انغلاق الهوية على نفسها الذي يقود إلى تصادم الأنا والآخر.

كما وضحت هذه الرواية الصورة المتعددة للآخر فهناك صورة المهاجر المضطهد الذي عانى من أشكال العنصرية مما تنسب إليه كل الجرائم ويهان بشتى الوسائل تجسد أيضا الآخر الايطالي ذي الهوية المفتوحة "زوجة أمير" والآخر الذي ينتمي إلى الذات لكنه مصدر تصدعها.

أما عبد الملك سمارى نشر روايتين **(حرائق في الجنة)**، و**(المستغرب)** باللغتين الايطالية، فالرواية الأولى عبارة عن شهادة لجالية من المهاجرين من أصول افريقية جزائرية وهي رصد لأهم تصرفاتها وسلوكياتها في مجتمع يرفض التعددية العرقية.

أما روايته الثانية التي تحمل عنوان المستغرب فهي قوية من ناحية بنائها وموضوعها مقارنة مع الرواية الأولى لأنها تشتغل على الذاكرة واللاوعي، تحكي هذه الرواية قصة "سمير" الذي يموت في أرض غريبة فتتحول روحه إلى شبح فتعيش حياة ثانية، ومن خلال الذاكرة يسترجع الأحداث المهمة في حياته (عندما كان حيا في موطنه الأصلي) كما يستعيد بدقة الأماكن التي عاش فيها حياته السابقة. والرواية يتداخل فيها الواقعي بالسريالي والحقيقي بالرمزي وتعكس توجه الشباب بين أرضين ونمطين حياتين مختلفين.

ومن الروايات السورية التي تناولت الغرب روايتا "**الوطن في العينين**"[1] و "**من يجرؤ على الشوق**"[2] لحميدة نعنع، وهما روايتان كتبتهما أثناء وجودها في الغرب، وتختلف تجربتها الروائية عن التجربة الروائية التقليدية في البحث عن الهوية في الغرب.

وتركز رواية "من يجرؤ على الشوق؟" كثيرا على وحدة الهوية العربية في مقابل تحالف الغرب ضد القضايا العربية، وفي هذا الإطار تنوه الرواية بالوحدة العربية، وتنبه إلى أن

[1]- حميدة نعنع: الوطن في العينين ، دار الآداب، بيروت، ط2، 1986.

[2]- حميدة نعنع: من يجرؤ على الشوق؟، دار الآداب، بيروت، ط1، 1989.

الحرب الأهلية في لبنان لا تخص وطنا واحدا اسمه لبنان، وإنما تنعكس ويلاتها على (الخارطة العربية)[1].

وهكذا أصبح البحث عن هوية بديلة خارج الأوطان العربية، يصل إلى أحيان كثيرة إلى حد تبني الجنسية الجديدة. ومن هنا تبدأ الرحلة إلى العالم الجديد الذي قطع شوطا كبيرا في مضمار الحضارة، فتغرق الذات في عوالم الآخر، وتتحول الهوية إلى اغتراب جرَّاء انقسام الذات على نفسها، فلاهي تستطيع أن تكسب هوية جديدة من بلد الهجرة، ولاهي تستطيع أن تنسى هويتها السابقة؛ وفي الخارج تزداد الهوية الأصلية انغلاقا، دفاعا عن النفس كرد فعل طبيعي للأقلية تجاه الأغلبية، ويزداد التمسك بمظاهر الهوية.

[1]- حميدة نعنع: من يجرؤ على الشوق؟، ص 139.

# الفصل الأول: مظاهر تصدع الهوية وانهيار خصوصية الأنا في رواية الصرصار

**أولا: ماهية الهوية**

5- مفهوم الهوية

أ- لغة

ب- اصطلاحا

6- الهوية في الفلسفة

7- الهوية في علم النفس

8- الهوية في علم الاجتماع

**ثانيا: تصدع الهوية**

3- بمؤثرات داخلية

4- بمؤثرات خارجية

عُـدت الروايـة أحـد أكثـر الأجنـاس الأدبيـة التـي تعكـس حاضـرنا وماضـينا ومـن الموضـوعات التـي تمتعـت الروايـة بدراسـاتها "الهويـة" التـي أصـبحت أزمـة العصـر بفعـل الحـروب والعوامـل السياسـية والاقتصـادية، فصـارت ظـاهرة عالميـة تجتـاح الكتـب والمجـالات والمقالات.

إن موضـوع الهويـة من الموضـوعات التـي نالـت اهتمـام الفلاسـفة والدراسـيين والبـاحثين والمنشـغلين بموضـوع الهويـة "فسـؤال الهويـة قـديم قـدم الإنسـان وقـدم انشـغاله الاجتمـاعي والثقافي" وبما أن موضوعها يحتل الصدارة في كثير من المجالات فقد وردت تعاريف لها نورد بعضا منها:[1]

**أولا: ماهية الهوية**

**1- مفهوم الهوية:**

**أ-لغة:** الهوية مشتقة من الفعل **«هوى، هوة، والهوية تصغير هوة، وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة»**[2]. ويقصد بالهوية هنا بئر بعيدة أي عميقة.

-كما وردت في قول عز وجل: «وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى»[3]. المقصود بها مدائن أهل لوط حين أهوى الله بها، فمعنها هنا يتمحور حول السقوط من فوق إلى أسفل .

أيضا هي مصدر صناعي من كلمة "هو"، للدلالة على أن الشيء هو هو، وليس غير أو بأنه هو هو لم يهو شيئا آخر، وهي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها مثل: هوية الأنا.[4]

وفي معجم التعريفات يعرف المرجاني الهوية بأنها: «**الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق**»[5]. فالهوية هنا حقيقية مطلقة

---

[1]- محمد سعد البازغي: شرفات لرؤية العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 30.

[2]-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، 1863، ص 374.

[3]- القرآن الكريم: سورة النجم، الآية 53.

[4]- محمد يعقوبي: معجم الفلسفة، دار الكتاب الجديد، القاهرة، ط1، 2008، ص 174.

[5]- الشريف علي بن محمد الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد الصديق، منشاري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 216.

باستثناء فيها وليست حقيقية نسبية في الغيب المطلق، أما الغيب فهو ما غاب عن الإنسان فهو موضع لا تراه.

أيضا جاءت عند مراد وهبة في المعجم الفلسفي "هوية" تقال بالترادف عل المعنى الذي ينطبق عليه اسم الموجود، إلا أنها ليست تنطلق على الصادق، هي أيضا من الألفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم، لذلك ألحق بها الطرف المختص بالأسماء وهو الألف واللام واشتق منها المصدر فقيل الهوية من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان، والرجولية من الرجل»[1]. لفظة الهوية هنا مشتقة من لفظة "هو".

تستعمل كلمة "الهوية" من حيث الدلالة اللغوية في الأدبيات المعاصرة التي تعبر عن خاصية المطابقة: أي مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقة لمثله[2]. عليه نستطيع القول أن لفظ الهوية جاء بمعنى المماثلة والمشابهة والموافقة.

ونجد جميل صليبا في المعجم الفلسفي يعرفها بأنها:

1-«اسم الهوية ليس عربيا في أصله، وإنما اضطر إليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره».

2- اسم الهوية مرادف لاسم الوحدة والوجود.

3- والهوية عند القدماء، عدة معان وهي التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي وقالوا : مابه الشيء هو هو، باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى "ماهية"، وقد يسمى مابه شيء ماهية إذا كان كليا، كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئيا كحقيقة زيد، وحقيقة إذا لم يعتبر كلية وجزئية ، حيث قالوا الأمر المتعقل من حيث أنه معقول في جوانب ما هو يسمى ماهية ومن حيث

[1]- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2007، ص 667.

[2]- رضا شريف: الهوية العربية وإشكالية العولمة في فكر الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د.ط، 2011، ص 14.

ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية ومن حيث اللوازم يسمى ذات[1].

ب- **اصطلاحا:** يعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها في عدة مجالات وبالتالي فهو من أكثر المفاهيم الشائعة والمستخدمة والمتغلغلة في عمق حياتنا وعلى الرغم من بساطة هذا المفهوم إلا أنه مفهوم صعب ومعقد وذلك لأنه بالغ التنوع في دلالاته واصطلاحاته[2].

فتعريفها في علم النفس يختلف عن تعريفها في الفلسفة وفي علم الاجتماع، إذ تقول **هويدا عدلي: إن الباحث عندما يتعامل مع مفهوم الهوية على وجه الخصوص، فإنه يتعامل مع مفهوم قلق من الناحية النظرية، يثير أسئلة أكثر مما يقدم إجابات، حيث أنه أكثر من مفاهيم العلوم الاجتماعية شائكية نظرا لما يثيره من إشكاليات عديدة[3].**

أما المفكر الفرنسي" **ميكشللي**" ربطها بالمعطيات المادية والنفسية والاجتماعية كما ربطها بادراك أو شعور الفرد الداخلي بوحدته وتميزه **«أنها وحدة متكاملة من المعطيات المادية، النفسية، الاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية في وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عما سواه ويشير بوحدته الذاتية».[4]**

وحسب **غوتلوب فريجه: «الهوية مفهوم أنطلوجي وجودي يمتلك خاصية سحرية تؤهله الظهور في مختلف المقولات المعرفية، وهو يتسع بدرجة عالية من العمومية**

---

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1982، ص 529.

[2]- أليكس ميكشللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993، ص 7.

[3]- خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، العراق، د.ط، 2009، ص 41.

[4]- سعيد إسماعيل علي: الهوية والتعليم، عالم الكتاب، ط1، 2005، ص67.

**والتجريد تفوق مختلفة المفاهيم الأخرى المجانسة والمقابلة له، ومع ذلك كله وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية وتحيط به، يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشمل عليه من كينونات الأنا والآخر»[1].** يفهم من هذا التعريف أن الهوية مفهوم لا يقبل التعريف، لأن كل تعريف هو هوية بحد ذاته.

ويعرفها **أحمد عمارة** بقوله: «**إن الهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلى مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات».[2]**

-وهناك من ذهب إلى القول بأن: الفرد الهوية هي مجموع المميزات الجسدية والنفسية والمعنوية والقضائية والاجتماعية والثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه وأن يقدم نفسه وأن يتعرف الناس عليه، أو التي من خلالها يشعر بأنه موجود كانسان له جملة من الأدوار والوظائف من خلالها يشعر بأنه مقبول ومعترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها[3]. نستنتج من هذا القول أن الهوية تتكون من مجموعة من الصفات وبهذه الصفات يستطيع الناس التعرف على الشخص وعل من هو ومن يكون، فهويته هي التي تحقق وجوده الفعلي بينهم.

ونجد في هذا الصدد أن مفهوم الهوية في الثقافة العربية الإسلامية ليس مفهوم أصيلا بل هو مصطلح منسوب إليها، ولعل أول من استخدم هذا المصطلح الهوية في العصر الحديث وفي ثقافتنا العربية هو "سلامى موسى"[4].

ذلك أن الباحثين العرب الذين اهتموا بمسألة الهوية توقفوا عند مسميات مختلفة منها "الشخصية" ومنها "الذات"[5]. اللافت للنظر هنا أن لمفهوم الهوية عدة مسميات.

---

[1]- علي أسعد وطفة: استثنائية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، مجلة المستقبل العربي، العدد282، 2002، ص 100.

[2]- محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999، ص 6.

[3]- شرقي رحيمة: الهوية الثقافية الجزائرية وتحديدات العولمة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013، ص 193.

[4]- رضا شريف: الهوية العربية والإسلامية وإشكالية العولمة في الجابري، ص 16.

[5]- سعد البازغي: شرفات برؤية العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، ص 338.

وقد اختلفت رؤية التقليديين للهوية عن رؤية ما بعد الحداثيين لها ذلك أن التقليديين يرون الهوية حقيقة تارة وأساسية لا يعتريها الشك، بينما يرى ما بعد الحداثيين أن الهوية أقرب إلى الوهم، وأنه يصعب الاعتماد عليها كمفهوم، حيث هي فكرة خيالية[1].

وهناك من ذهب إلى القول بأنها: «**التمشي الذي يقوم به الفرد لبناء مختلف مظاهر الشخصية سواء كانت هذه المظاهر حالية أم ماضية أم مستقبلية، وفي المظاهر التي يجدد بها الفرد ذاته أو يقبل أن يحدد بها[2]. ومعنى ذلك أن للفرد مظاهر يبني بها شخصيته**».

## 2- الهوية في الفلسفة:

الهوية موضوع فلسفي بالأصالة، عالجه الفلاسفة المثاليون والوجوديون على حد سواه، المثاليون ميتافيزيقيا، وحوله إلى قانون، قانون الهوية، والوجوديون نفسيا منها لانقسام الذات على نفسها ومن ثم إنكار الوجود الإنساني[3]. يمكننا القول أن الفلاسفة المثاليون والوجوديون عالجوا موضوع الهوية وفق لطريقة كل منهم.

فلسفيا «**الهوية هي حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، كما تعبر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو لمثله**»[4]. الهوية من الناحية الفلسفية تعبر عن الحقيقة المطلقة الشيء حيث تعتبر ميزته الجوهرية يختلف بها عن غيره.

كما ورد تعريفها عند **لايبنتز** باعتبارها: «**وعي الإنسان بوحدته رغم التغيرات التي تطرأ عليه خلال مختلف مراحل وجوده أي بقاؤه مساويا نوعيا لذاته وواحدا عدديا في كل**

[1]- سعد البازغي: شرفات برؤية العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، ص 34.

[2]- سلطان بلغيث: تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب، جامعة تبسة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 350.

[3]- حسن حنفي حسنين: الهوية، 2012، ص 9.

[4]- عبير بسيوني رضوان: أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص 25.

**الأحوال»**[1]. يتضح لنا أن لايبتنز يرى أنها وجب على الإنسان أن يكون واعي بوحدته أي تميزه عن غيره وأن مفهوم الوحدة نوعيا هو أمر ضروري لأي كائن.

أما عند **أرسطو** فهي تطلق **«على ما هو متطابق سواء أحالف وحدة شيء أو شخص مختلف تماما عن غيره رغم تعدد التسمية، أو من جهة تماهيه مع نفسه وبقاءه هو وذاته»**[2] معناها عند أرسطو يتمحور حول المطابقة أو المماثلة .

**3- الهوية في علم النفس:**

يعتبر **ايركسون**: **«أن عملية تشكيل الهوية النفسية ونموها هي بمثابة إعادة للتوازن في بناء الهوية النفسية الذي تشكل خلال مرحلة الطفولة (البناء الأول للهوية)، إذ أن نتيجة الأحداث التي يمر بها الفرد خلال المراحل العمرية اللاحقة والتي تقود إلى إحداث خلل في التوازن لديه، فإنه يستوجب عليه إعادة تشكيل الهوية كاستجابة للمرحلة النمائية حيث يتوقع إعادة بناء وتشكيل الهوية لدى الفرد عند دخوله مرحلة من مراحل النمو النفسي»**[3]**.** يرى بذلك ايركسون بأن التوازن يتحقق عن طريق تشكل الهوية النفسية في مرحلة الطفولة لأن الظروف حتما ستؤثر عليه لاحقا.

وتعرف في علم النفس على أنها: **«كون الشيء نفسه أو مثله من كل الوجوه الاستمرار والثبات وعدم التغيير»**[4] بمعنى أن الهوية في علم النفس هي الشيء ذاته وهي مستقرة وثابتة وليست متغيرة.

كما ورد تعريف الهوية النفسية «**بأنها مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات والتفرد بالاستقلالية وأنها ذات كيان متميز عن الآخرين، وما يحققه من الإحساس بالتكامل**

---

[1]- جليلة المليح الواكدي: مفهوم الهوية (مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة، وفي الانتربولوجيا وفي علم الاجتماع)، مركز النشر الجامعي، د.ط، 2010، ص 70.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- بوعيشة آمال: جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب بالجزائر، شهادة دكتوراه، إشراف: جابر نصر الدين، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014، ص 114.

[4]- خليل نوري مسهر العاني: الهوية المسلمة في زمن العولمة الثقافية، ص 42.

**الداخلي والاستمرارية عبر الزمن والتمسك بالمثاليات والقيم السائدة في ثقافته»**[1]. المراد من هذا التعريف أن ما ينجزه الفرد وهو واع به وهو مستقل وله كيانه الخاص بجعله يحس بالتكامل والاستمرار.

وترى **عبير بسيوني رضوان «أن التحليل النفسي يقوم على "هوية" نحن "أنا" فلا يمكن أن ترد هوية (أنا) بعيدة عن (نحن)، ولا يمكن للهوية أن تخرج عن إطار العملية التاريخية والحضارية التي تنتقل بالبشرية من السيطرة الجماعية للنحن إلى حالة الفرد»**[2] فالهوية في علم النفس لها ارتباط قوي وثيق بالهوية في علم الاجتماع.

## 4- الهوية في علم الاجتماع:

اهتم علماء الاجتماع بالهوية كعلماء النفس والأنثربولوجيون. إذ أنها موضوع اجتماعي يحتل الصدارة خاصة في علم الاجتماع، وتعرف الهوية في علم الاجتماع على أنها **«عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية»**[3]. بمعنى أن الهوية هي ما يميز الفرد عن الآخرين ونعطيه كيان خاص به.

يهتم علم الاجتماع بالهوية الجماعية ضمن السياق الاجتماعي والعلائقي العام على مستوى الارتباطات والتناقضات القائمة بين الأفراد والمجموعات سواء كانت هذه المجموعات مجموعة إثنية أو قومية أو ما فوق قومية، لأنه يدرس السلوكات الجماعية باعتبارها مجموعة ردود فردية بل باعتبار ما تتميز به ردود المجموعة من خصوصيات[4]. أي أن هذا الأخير يهتم ويركز على الهوية الجماعية وليست الفردية التي يركز عليها علم النفس، فعلم الاجتماع يهتم بها ضمن الإطار الاجتماعي وضمن العلاقات القائمة بين الأفراد وبين الجماعات مهما كانت إثنية أو قومية أو فوق القومية.

---

[1]- بوعيشة آمال: جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب بالجزائر، ص 114.

[2]- عبير بسيوني رضوان: أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، ص25.

[3]- خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ص ص 42-43.

[4]- جليلة المليح الواكدي: مفهوم الهوية، ص 154.

والهوية من المنظور الذاتي **«مشاركة وجدانية عاطفية غالب ما تنشأ عن الاحتكاك بمجموعات أخرى، هذا الاتصال ينهي الشعور بالانتماء لدى الفرد ويعزز بمفعول وجوده ذاته..»**[1]. بمعنى أنها تقوم على المنظور الذاتي والوجداني والعاطفي أو بالأحرى ترتكز على البعد النفسي.

وتعرّف الهوية **«كونها القدرة على التغير باندماج تجارب جديدة، بنية ديناميكية تطورية متحولة، تتلقى تغيرات متجددة عبر تطور وجودها التاريخي، إذ يتعين على القديم استقبال الجديد»**[2] وبهذا يتبين لنا أن الهوية تتركز على التغير والتجديد وعلى التأقلم الدائم مع الظروف.

والهوية تعرف بأنها إحساس بالذات ينشأ حينما يبدأ الطفل بالتميز عن والديه وعائلته ويأخذ موقفه في المجتمع، إذ تشير إلى شعور شخص ما بمن هو وما هي الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له، ومن المصادر الأساسية للهوية هي القومية والعرق والجنس والطبقة، على الرغم من أنها تنسب إلى الأفراد إلا أنها ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي ينتسب لها الأفراد ويصنفوا على ضوئها[3]. يقودنا هذا التعريف إلى أن الفرد حينما يشعر بذاته وتميزه يستطيع أن يكتشف هويته وشخصيته وترتبط الهوية بالمجموعات الاجتماعية باعتبار الفرد ينتسب إلى الجماعة .

وعليه نرى أن مفهوم الهوية والذات تصب في مفهوم واحد ما لا يمكن أن نفرق بينهم، حين أن الهوية التي تميز الإنسان عن غيره هي نفسها الذات التي تؤدي إلى اكتشاف هويته ومن يكون، فالإنسان ذاته هو من يصنع هويته، لتصبح لمطابقة بعرف بها عن نفسه ويعرفه الآخرون بها.

---

[1]- جليلة المليح الواكدي: مفهوم الهوية، ص 156.

[2]- المرجع نفسه، ص 156.

[3]- هارلمبس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حميد حسين، دار الديوان للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2010، ص 13.

**ثانيا: تصدع الهوية**

استطاعت رواية "**الصرصار**" أن تشكل للقارئ فسيفساء زمنية تتشابك فيها جملة من الإيديولوجيات التي تمرر عبر الشخصية الرئيسية (الذي لم يذكر اسمه) كذلك الشخصيات الأخرى، عبر فضاءات اجتماعية تزخر بالعديد من الدلالات فالرسالة التي يود الروائي نقلها هي الواقع الفعلي للمهاجرين، وأزمة هوية الإنسان العربي، وكان القالب الروائي لسانه الناطق، وفي هذا المبحث المعنون بتصدع الهوية سنتطرق إلى لعنصرين: تصدع الهوية بمؤثرات داخلية وأخرى خارجية.

**1- تصدع الهوية بمؤثرات داخلية:** شهدت العقود الأخيرة من الزمن تشتتا في الهوية وذلك بسبب التغيرات التي طرأت على المجتمعات، وما حصل بمعظم الدول وانهيار القيم وتفكك العلاقات فتغيرت الأبعاد القومية والثقافية والدينية والنفسية والاجتماعية...

قضية الهوية والذات من القضايا المحورية التي أقلقت ولازالت تقلق الفرد العربي المعاصر، فقد أحدث شرخا متباينا في صفحات كتاباتهم، ولم تكن الرواية العربية بمعزل عن التأثر بتلك الحروب التي مرت بها المنطقة العربية، فقد ظلت رؤية جديدة في الكتابة، تقوم على «**الرمادية في التعاطي مع الموجودات؛ وتهيمن عليها موضوعات الشقاء واليأس والإحباط، بوصف الحرب من أكثر التجارب الإنسانية تأكيدا على عدم الاستقرار**»[1].

هذا ويتمثل الاغتراب عن الذات في عدم القدرة الفرد على التواصل مع عالمه الخارجي، الذي لا يستجيب لاحتياجات عالمه الداخلي انه الوعي المغترب أو هو وعي يعيش غربته داخل واقعه الأصلي، وهذا الموضوع يعيشه على الدوام المثقف خاصة في مجتمعاتنا العربية لوعيه المتناقض غالبا للواقع وخيبات أمله المتكررة فيه؛ فتتحول ذاته إلى ذات غريبة عن واقعها ومحيطها الأصلي «**إنَّ اضطراره للاغتراب مع الناس وتختلط بهم ونما يتجسد اغترابه بشكل أشد تأكيدا في اندماجه النفسي والفكري مع القيم الرائجة في المجتمع مع عدم استبعاد إمكانية الانفصال détachement أو الاستقلال الحسي**»[2].

---

[1]- الورقي السعيد: اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر، ص 309.

[2]- أميرة علي الزهراني: الذات في مواجهة العالم (تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 151.

تطرق رواية "الصرصار" لراوي حاج من خلال سرد السارد جانب عن خيبات الإنسان العربي المتوالية، فشخصية البطل المحبطة تعاني التشتت الذي أفقرها الأمان والشعور بالراحة اللازمة لتوازنها الوجداني والذهني، رواية محملة بصور شائكة ومتداخلة خاصة مع نشوب الحرب الأهلية في لبنان وما خلفته على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي.

تدور الرواية حول الهوية الضائعة للإنسان العربي المستلب والمهاجر بالتحديد، من بلده الذي يفتقد أنه لبنان على الرغم من عدم التصريح ببلده، إلا أنه ومن خلال الجلسات العلاجية مع المعالجة النفسية "**جنفييف**" يمكننا معرفة حياة الراوي السابقة، فهذه الجلسات تفرض على الراوي العودة إلى الوراء وسرد القصص عن حياته ووطنه... حيث يكشف من خلال القصص التي يسردها عن حالة حرب في بلده الأصلي (الحرب الأهلية التي مست بالمجتمع اللبناني)، ما في ألم، يحمل من العنف والتشتت والتشرد ما جعل هوية الراوي تصطدم بالضياع والتيه، ويعيش إنسان /صرصور.

اعتمد راوي حاج على شخصية محورية في روايته "**الصرصار**" وهي نوع من الأقنعة المخفية أو المركبة عنوة من أجل الخلاص من كل الأقنعة ، الصرصار حشرة، اختارها باعتباره حرة تفعل ما تريد كما أن الشباب العرب صار يعيش حالة من فقدان الذات والجوهر، وفقدان التواصل البناء الذي يفعل النمو، حتى أنه تحول لحشرة ضعيفة، غامضة، ولا يلقى لها الناس بالا، حشرة لا تزال خصائصها غير معروفة بدقة، وفي النهاية غير قادرة على التفاعل.

سلك الروائي المهاجر "**راوي حاج**" مسلك الروائيين الكبار مثل "**توفيق الحكيم**" والروائي الروسي "دوستويفسكي"، دخل معهم في دائرة تشبه الإنسان بالصرصور، فالإنسان في روايات هؤلاء قد أجبرته الظروف وقوة الحياة للدخول في النفق المظلم ليتساوى بالصرصور كحشرة يدخل إلى البيوت دون استئذان، حشرة تجد لها مرتعا في المطابخ والحمامات خاصة والبيوت والمحلات عامة، استخدمها راوي كقناع ليصف شخصية انزاحت عن الإنسانية والصراصير كلمة تنفتح على دلالتين: الأولى تتعلق بالاسم الفعلي الذي يشير إلى نوع من

الحشرات المتسببة في وجودها الفيزيقي لأماكن دونية سفلى قوامها القذارة والنجاسة، تنمو وتتكاثر فيها بكثرة ملحوظة، ويتسبب وجودها إزعاجا كبيرا للعامة.

والدلالة الثانية تختص بمعنى الاختفاء وراء قناع الحشرة هربا من المواجهة، والنور وهربا من واقع قد أنهك كاهل الإنسانية، فلا يوجد أكثر مرارة من واقع الحروب والاغتراب.

رواية "**الصرصار**" تمت ترجمتها من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية سنة 2008 شبه نفسه بالصرصور لأنه رأى في هذه الحشرة ما تمثل شخصيته الغامضة، كما أنها نتيجة لظروف عاشها ويعيشها والتي سنعرفها في هذا الفصل بطل الرواية دون اسم، نصف صرصار ونصف إنسان وبمجرد تحول الإنسان إلى حشرة ليتجرد من كل مكون للهوية.

ترتبط التسمية بالشخص الذي يختاره والذي يحمل بدوره هويته الخاصة؛ حيث تنشأ بين الإنسان واسمه علاقة وطيدة فتمكنه من امتلاك هويته الخاصة، وهي **أن «الهوية غير ثابتة، فالأسماء تتغير بالانتماء إلى حضارة أخرى»**[1]. وهذا ما يتبدى لدى شخصية بطل الرواية الذي فضل عدم اختيار اسم له وعدم ذكر وطنه، وفضل النزول للعالم السفلي عالم الحشرات.

بطل رواية "**الصرصار**" يتلقى علاجا نفسيا مع المعالجة النفسية "**جنيفييف**" في البلد الذي اختار راوي حاج الهجرة نحوه (مدينة مونتريال) بكندا **«مضيت خارج الجدران العيادة، ونزلت الدرج وغادرت إلى المدينة الباردة»**[2]. المعالجة النفسية مسؤولة على الحكم على حالته العقلية والنفسية، وكذا التحقق من عدم إمكانية تشكيل خطر على المجتمع الكندي وبالتالي فرضه على العلاج وإلا سيزجّ في مشفى الأمراض النفسية.

يتبادر إلى أذهاننا سؤالا هل يحتاج الإنسان العربي إلى طب نفسي والاعتراف والمداومة على الجلسات العلاجية ربما لقد عانى من الأزمات التي مر بها؟. يجيب راوي

---

[1]- حورية الخميليش: الشعر وأنسنة العالم، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر العاصمة، ط1، 2018، ص 61.

[2]- راوي حاج: الصرصار، تر: أنطوان باسيل، تر: روحي طعمة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 16.

حاج بقوله **«من دون شك الإنسان العربي يحتاج إلى علاج نفسي، إذا اطلعنا على التاريخ المسيحي للغرب فسوف نرى أن الاعتراف أمر مهم، وعندما تحجمت المسيحية انتقلت فكرة الاعتراف من المسيحية إلى السيكولوجي، وهي مبنية على الاعتراف. وكأن هذا الحاجة للاعتراف أمر طبي»**[1]. قصة الاعتراف **«بالنسبة لنا كعرب غير مستحبة، فالعرب لا تحس بالأمان حين يعترف، وحين يفعل ذلك يشعر بأنه مذنبين بينما في الغرب مرحلة للراحة والتسامح».**[2] من المعروف أن الإنسان العربي لا يحب فكرة الاعتراف بالنقص الذي يعتريه أو بأمراض نفسية جرّاء الأزمات التي مست الذات الإنسانية، كما أنّ عدم الرغبة أو القدرة على الإقرار ثقافة سلبية، شكّلت بالخوف من الصورة النمطية التي قد يحملها الآخرين حيال تصريح الفرد بأنه بحاجة للاعتراف، وربما نصل لدرجة اتهامه بشتى التهم كالمجنون، والعبث... وهذا ما يسميه علماء الاجتماع بـ "الشعور بعقدة النقص" وهي عقدة مضطربة تعمل على تحريض النفس على عدم الاعتراف.

شخصية "الصرصار" غير واضحة في كامل الرواية، شخصية متجردة إرادة من راوي أن يجعل لشخصيته عالمه الخاص به. وفعلا قد أبدع راوي في خلق شخصيات روايته وجل تركيزه على سرد قصص ذاتية تبرز جوانب من حياته، ومختلف الظروف التي عاشها في وطنه وكذا في بلاد الغرب بهجرته، فقد تدخل الكتابة بصوت سارد ذاتي يعتمد على ذاته في سرد القصص ويدخل القارئ معه منذ أولى المشاهد، وهي وسيلة سردية ساحرة، تعقد مع المتلقي صداقة سريعة ومغرية **«إن مكر القارئ والقراءة وارد بشكل كبير، ظل القراء يجيدون لذة في إلصاق ما يحدث في النص بكاتبه، ويجد سنده أساسا في عدم الاستعداد الذي يبديه التسامح أمام قصة لا يعرف شخوصها معرفة حياتية»**[3].

---

[1]- راوي حاج: استعملت الصرصار لأتكلم عن وضع المغترب وعن الإيمان الشخصي، لغو، عن السياسة الكويتية، 2021/06/03، 11:39، عن موقع: http//www.loghoo.com

[2]- الموقع نفسه.

[3]- مبارك بوعزي: الرواية المغربية النسائية تجليات المعنى وغياب الأنا، منشور في طنجة الأدبية، يوم 2011/07/03م.

من خلال الجلسات العلاجية تظهر شخصية البطل المحبطة، تعاني التشتت الذي يفقد الأمان والشعور بالراحة اللازمة لتوازن الوجداني والنفسي والذهني، فقد تظهر الهوية الشخصية في **«انخراط الإنسان في القص، وهو سعي للتعرف على مناطق ملغزة في حياته بذات الأهمية تكشف عن مجالها المرئي والبسيط إلى الآخر لزوما أمامها».**[1]

ويبدأ حوار الراوي مع المعالجة في محاولة منها للتعرف على طفولته:

**«أخبرني عن طفولتك**

**كنت في طفولتي حشرة**

**أي نوع من الحشرات**

**صرصار»**[2].

وهي محاولة للكشف عن جوانب ملغزة في حياته، وبداية بطفولته حتى وهو طفل تجرد من إنسانيته فهي مشكلة وجودية، لأن الصرصار لا يعرف حياة مستقرة، آمنة، اعتاد حياة البرد والجوع والظلام والمطاردة اليومية، والموت بأبشع أنواع القتل إما بالمبيدات وإما ضربة بنعل قاتلة، وإما العذاب داخل بالوعات الحمام؛ في العالم السفلي فهؤلاء المنتمون للعالم السفلي حيث فيه كل مرفوض مرغوب فيه، يمثل الظلام عالمهم الجميل، المحرومون منه ربما بسبب المعتقدات أو الشرائع السماوية... فيتحول إلى حشرة حيث لا عقاب.

**«لأن شقيقتي حولتني إلى واحد**

**-ما لذي فعلته شقيقتك؟**

**-قالت لي شقيقتي: تعال لنلعب، ورفعت تنورتها، ووضعت مؤخرة رأسي بين ساقيها ورفعت كعبيها في الهواء، ومالت بساقيها علي ببطء وقالت: أنظر، افتح عينيك، ولمستني. هذا وجهك، وتلك أسنانك، ورجلاي هما شارباك الطويلان، ضحكنا، وزحفنا**

[1]- بول ريكور، حاتم الورقلي: الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، د.ط، 2009، ص 08.

[2]- الرواية: ص16.

**تحت الشراشف وعض كل منا وجه الآخر. قالت: لنمنع دخول النور، لنحكم إلصاق ذلك اللحاف بالسرير بحيث لا يدخل أي نور ولنلعب تحت الأرض»[1].**

إن اتخاذهما لوضعية الكرفصاء هذه توضح قوة المشاعر المتبادلة بينهما، ومدى انسجامها، وتعتبر أخته أول عملية في تغيير شكله من الآدمي إلى حشرة، أين يلعبون ويمرحون ويمزحون بكل حرية دون قيد، واتخاذهما للّحاف حتى يذهب الضوء عنهما ويستطيع كل منهما ممارسة ما يحلو لهما دون أن يراهما أحد، من جانب آخر تكون هذه العملية الإغرائية بعيدة حتى عن أعين أنفسهم فلا ننسى أنها أخته ومن محارمه فحتى يستطيع التغزل بها يجب أن يعم الظلام حتى لا يخجل من فعلته ومن مواجهة أخته بفعل التغزل وتفضيله للظلام ليس عشوائي، الظلام يباح فيه كل شيء، والظلام عالم الإباحية الفكرية والجسدية، وفي الأخير الظلام هروب من الواقع والنور الذي يمنع الحركة بحرية.

**«أزعجتني المعالجة النفسية بسلوكها المختصر، حركت في داخلي شعورا بالعنف لم أختبره منذ غادرت الديار».**[2]

يعطي راوي حاج صورة من خلالا حواره مع المعالجة عن العلاقة المضنية والمأساوية بين الأنا والغيرية، ونقصد هنا بالغيرية ليس الآخر الأجنبي أو الغربي، وإنما الغربة الداخلية التي تشعر بها الذات في وطن يفيض منه الحرب يقول **:«أعترف بأنني إبان انقطاع المياه زمن الحرب في المكان الذي جئت منه، قضيت فترات لم أغتسل فيها ولمدة طويلة»[3].**

لقد عاش حالة حرمان حتى من أبسط حقوقه في بلده، وهذا يكشف عمق التمزق الذي أصاب هويته بمختلف أشكالها، إلا أن الوطن يبقى حاضرا في ذاكرته لأنه حكاية عمر لا ينسى، وطن تعرض لأبشع موجات الفقر، لذلك اختر الهروب من شبح الموت والحروب والاضطهاد ورفقته في ذلك غضة الألم على بلده وبقيت فلا زمن في كل حين قصص يرويها أسيرة للغاية عن ماضيه وهذا بدافع **الاعتراف «مرت بضعة أيام، قبل أن يحين من**

[1]- الرواية: ص 16.

[2]- الرواية: ص 15.

[3]- الرواية: ص 36.

**جديد موعد صعود سلالم عيادة الصحة العامة، والجلوس على كرسي التحقيق»**[1] ولأنه مجبر الحديث، عن نفسه، أهله، وطنه... أنه يحول تاريخه الشخصي إلى العائلي، تتضمن أبطالا، وأسرة مهيمنة، وأحدا وأسلحة، وشرف المرأة.

ولأجل هذا التمزق والانشقاق في الحياة الفردية للكاتب والجماعية جاء التفكك على لسان البطل؛ تفكك من حيث الهوية الجماعية المبنية على الأمان والأمن في الحياة لم تعد موجودة نتيجة المشاكل والحروب المبنية على تفكيك وذوبان الإرادة وتضييع الأمانة ويكون الفرد بذلك مجبرا على هجر الذات الجماعية واللجوء إلى الآخر المتعصب لهويته.

من المعروف أن لبنان بلد غير متجانس، إذ يشكل خريطة فسيفسائية من الأديان المذاهب والطوائف، وهي المرجعيات والخلفيات السياسية هي أحد أسباب تشكل الحرب في لبنان. إن الطائفية هي بمثابة جماعة منظمة من أناس يمارسون معتقدا دينيا بوسائل وطرق وفنون معينة، فهي تجمع ديني في الأصل، والممارسة والغاية... وهذه الطوائف لها أصولها المختلفة، وبتأثير عوامل يمكن القول عنها أنها عوامل معقدة، تتمثل في اختلاف أصول الطوائف، منها ما يعود إلى المسيحية الأولى ذات الطابع الشرقي المميز، أو إلى النصرانية الأولى والجذع الروماني البيزنطي، ومنها ما يعود إلى التراث الفارسي والحركات الباطنية الإسلامية أو المتفتحة على التيارات الفكرية والحضارية. بل فيها مزيج بين التيارات الطائفة كالصوفية الإسلامية المتفاعلة مع التراث الإيراني واليوناني والروماني[2].

في وقت تعرضت فيه وحدة الوطن واستقراره إلى التمزق خلال الأزمة في لبنان فغاب الاستقرار والطمأنينة، وتفكك كيان الذات الكاتبة وهذا يفسر تصدع في الهوية، داخل الوطن قبل الهجرة، فالهوية غائمة، ولعل موت الهوية وانكسار الوطن جعل ذات الكاتب يبرر حالة من التصدع الانتمائي والشرخ التفاعلي لجماعة، كما مثل بداية لانهيار القيم الداخلية وظهور

---

[1]-الرواية: ص 65.

[2]- قادري حسين: دور القوى الإقليمية (إسرائيل، سوريا، م. ت.ف) في الحرب الأهلية اللبنانية وموقف الدولتين العظيمتين 1975، 1982، أطروحة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، جانفي 1990، ص ص 22-23

الصراعات المتصلة بالأنا، وكذا الغير، إن الأزمة متصلة بالذات والمكان والعائلة والوطن، وهي نتاج تراكمي من المآسي الناتجة عن تفكك الهوية؛ وضياعها وحرمانه من أبسط حقوق له، وهذا ما يبرز لنا محنة الذات العربية، فهذه الرواية **تعد «خطابا إيديولوجيا ناقما على الأوضاع الراهنة شاهدا على الانهيار الذي طال الثوابت والمفاهيم والاعتبارات فيغلب القول على الفعل لتصبح الرواية حديثا سرديا عما يقلق الراوي ويثير حفيظته»**[1].

يمكن القول أنه روايته تعري وتشخص أهم أمراض الواقع اللبناني خاصة والعربي عامة، طمسا وتدميرا للهوية، وتعطي صورة لانهيارات مست كل الجوانب الإنسانية وبذلك «تتجاوز الشخصية المثقفة داخل الرواية بوصفها خالة فردية التي تمثل نماذج لشريحة كبيرة بدأت تأخذ حيزا غير قليل في المجتمعات النامية، بشكل نباشر أو إيحائي، وبكل ما تختصر داخلها من تطلعات [...] وتعرض بجلاء تلك الإحباطات التي قد يتعرض لها المثقف بفعل الصدام مع مجتمع تشيع في أوساطه الآفات، ويؤثر الثبات على الحراك»[2].

تتواصل الحوارات بين الراوي والمعالجة في محاولة التعرف على طفولته يقول: «**كنت أغسل وجهي، وأحرم كل شيء آخر من كمية المياه القليلة المتوفرة لي، أوحت لي كل نقطة ماء جرت عبر المصرف، أن أتبعها، وأجمعها وأستخدمها من جديد؛ لطالما سحرتني مصارف المياه وأنا طفل**»[3].

من خلال هذا القول يتبين لنا معنيين: الأول ظاهري ويتمثل في إشارته لندرة أبسط الأشياء "الماء" لدرجة أنه يجمع بقايا القطرات التي تم استعمالها لتمر عبر المصرف ويستخدمها من جديد، وهنا يحدث تحول إنسانيته فلا يعقل دخول الإنسان عبر المجاري الصرفية فالصراصير هي التي تقوم بالدخول والانسلال عبر هذا النفق الوسخ والقذر

[1]- عبد الله أبو هيف: الجنس الحائر(أزمة الذات في الرواية العربية)، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 37.

[2]- أميرة علي الزهراني: الذات في مواجهة العالم (تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية)، ص ص 168- 169.

[3]-الرواية: ص 56.

والمعنى الثاني الباطني نعلم أن الماء هو مصدر الحياة، ولا يستطيع أ يمنا أن يعيش دونه ووجود الماء هو تغذية لكل ما في الأرض فتكسب توازنها لأن من أخطر المظاهر التي تعتري بعض المناطق هو شح هذه المصادر المائية، ونقصه يحدث خسارة في كل شيء، فدلالة هذا النقص في كلام راوي يعني عدم توازن واضطرابها وخلخلة في كيانها لقوله تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي»[1] أي أن الماء هو الحياة والوجود وندرته هو العدم، وكأن حياة تحولت لشبه عدمية.

شخصية السارد يعيش حالة انفصام مع ذاته خاصة وأنه عانى الويلات داخل وطنه، حياته تعج بصور العنف وعدم الاستقرار سواء داخل العائلة، أو خارجها (وطنه) يقول: **«لم يتغير الكثير من حياتي منذ زمن ولادتي، وأن على الأقل أعيش اليوم وحدي وليس في غرفة مكتظة مع شقيقة، ووالد يشخر، ووالدة مصابة بالوسواس العصبي»**[2] يوحي هذا الكلام بالاضطرابات النفسية التي يعيشها البطل، لأن الشخير من العوامل النفسية التي تسبب إزعاجا وبسبب رئيسي في الإصابة بالتوتر والغضب.

يقدم الراوي والدته على أنها مصابة بالوسواس العصبي، ومن المعلوم أن الوسواس أحد الأمراض العصبية الفتاكة، وحالة نفسية قد تصدعت اثر موجات اجتماعية أو سياسية... ويرجع أغلبها للتنشئة الخاطئة من قبل الأهل أو أحد المقربين كالقسوة والحرمان، الصراعات، الإحباطات المستمرة، والعنف المسلط...

لقد ارتبطت الأفعال التي قامت بها والدة البطل ووالده بحالتها النفسية العصبية يقول راوي: **«وحتى أنا مختبئ وراء الخزانة أشاهدها تسخر من أبي في وجهه، مراهنا شقيقتي على أي من عينيها ستلتقي اللكمة الأولى»**[3] وتفسر هذه الأفعال مدى تفكك العائلة وتمزقها خاصة العنف اللفظي الصادر من والداته لزوجها في مقابل رد فعل الوالد بفعل الضرب والعنف، دون مراعاة مشاعر الأبناء، كما أن كلام راوي عن رهانه مع شقيقته يفسر تعوده

[1] - القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 30.

[2] - الرواية: ص 30.

[3] - الرواية: ص 66.

على هذه المشاهد العنيفة بين والديه وبالطبع يؤثر بالسلب على نفسية الأطفال لأنه عاش الأمرين خلال طفولته.

يصاب الفرد بجملة من الأفكار والهواجس ليسيطر على تفكيره ويظهر تأثيرها في الأفكار العصبية الناتجة عن تلك الهواجس كالخوف والشك، وسيطرة الأفكار الغاضبة... كلها تأثيرات تصيب الفرد فيصبح غير قادر على التفاعل في حياته. ومثال ذلك حين يقول الراوي عن والدته: «**تصرخ: ما الذي يفترض بي أن أشتريه بهذا؟ سأهجرك يا جوزيف. قم أنت بإطعام الأولاد [...] دع أنمك تطبخ لك ولأولادك الأغبياء، المتأخرين الوسخين**»[1] وهذا ما يوضح عدم تحمل الوالدين مسؤوليتها العائلية، ما ينتج عن تشتتها وضياعها، كما أن التعليقات الساخرة والبذيئة تعود للحالة النفسية والعقلية لحالة والده البطل والتي سبق ذكرها آنفا.

وعليه يمكننا القول أن راوي حاج عاش طفولة مليئة بالصراعات والمشاكل العائلية الفقر، الحرمان، الضياع والدخول في عالم السرقات.

وظل العنف ملازما لحياة الراوي في كل مكان إذ يقول:

**«ماذا عن والد أمك؟**

**كان مدمنا**

**للكحول**

**لا، التبغ**

**هل من عنف داخل العائلة؟**

**-العنف كان موجودا في كل مكان»**[2].

[1]- الرواية: ص 66.

[2]- الرواية: ص 59.

يصرح راوي حاج بلوغه ألم عن حال مأساوي حتى أنه لا يوجد مكان يخلو من الصراعات والعنف ما جعلته يعيش حالة نفسية يعرفها علماء النفس بأنها: «**العملية التي تتضمن إدراك الفرد لعائق يحول دون إشباع حاجاته أو تحقيق هدفه أو توقع الفرد حدوث هذا العائق في المستقبل**»[1].

تلعب الأسرة دورا أساسيا في سلوك الأفراد بطريقة سوية أو غير سوية، من خلال النماذج السلوكية التي تقدمها لأبنائها، يقول حامد عبد السلام زهران عن الأسرة: «مسرح التفاعل الذي يتم فيه النمو والتعلم وهي العالم الصغير للطفل الذي به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف»[2] فالأسرة اتحاد تلقائي يتم نتيجة الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية التي تعتبر ضرورة حتمية في استمرار الوجود الاجتماعي.

أسرة راوي حاج متفككة، مضطهدة إذ يعيش يوميا صورا من الصراعات بين والديه وسلوكهما حتما سيعود عليه بالسلب كما سنشاهد ما سندرسه في الفصل الثاني إن الأسرة هي التي تحدد سلوك الفرد منذ طفولته، فان أدت وظائفها بشكل جيد، فلحت في تكوين طفل متوازن من الناحية النفسية والاجتماعية وحتى الفكرية وإذا غابت أو نقصت حتما سيتولد خلال نفسيا...

نشأ راوي في جو مشحون بالسلوكيات العائلية والخارجية. يقول راوي محدثا المعالجة: «**وأنا طفل، كنت أهرب عندما تبكي أمي، وعندما يحل والدي حزامه، وعندما يرفع أستاذي مسطرة عاليا فوق راحة يدي الصغيرة: كنت أختفي عندنا نشتغل الضربة الساقطة على يدي أشبه بالرعد عبر مشهد خطوط الحياة: سفرات طويلة، وراحات أيدي المسافرين**»[3].

العلاقة بين الوالدين يعمها العنف والضرب بشتى الأنواع حتى أصبح عنوان حياة الراوي هو "العنف"، وهذا ما يعرف بالتصلب التروي في استخدام الشدة والعنف في العلاقات

[1]- سامي محمد ملحم: أساسيات علم النفس، دار الفكر للنشر، عمان، الأردن، 2009م، ط1، ص 153.

[2]- حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1984م، ص 253.

[3]- الرواية: ص 37.

كالضرب والشّجار، العقاب الشديد، والاستهتار، وغياب المرونة في إطار التعامل الأسري (الوالدين وكذا المعلم)، كلها ممارسات اضطهادية عاشها البطل.

إن التسلط هو أحد الاتجاهات الوالدية لأن الطبيعة البشرية تميل إلى دفع الإنسان إلى تربية أطفاله بنفس الطريقة التي تربى لها، فإذا كأن تلقى في طفولته تربية صارمة وقاسية من حيث الإلزام ببعض السلوكيات، فان يحس برغبة دفينة في أن يثبت تلك السلوكيات في نفوس أطفاله بنفس الطريقة وفرض آرائهم بكل تعنت ودون نقاش[1]. وحتى والدة السارد عاش نفس الويلات التي سبق ذكرها من طرف والدها، الذي كان يعمل في تهريب مواد التبغ، وإنسان سكير تسأل المعالجة البطل:

**«ماذا عن والد أمك؟**

**-كان مهربا**

**-للكحول؟**

**-لا، التبغ [...]**

**كيف كانت علاقة والدتك به؟**

**-كانت تعبده.**

**-ووالداتها، جدتك؟ [...]**

**-كان جدي يضرب جدتي عندما يسكر.**

**-رأيت ذلك؟**

**-نعم، مرة»**[2].

تكرار راوي لحالة العنف الممارس وسط العائلة دليل على حالة الإحباط النفسية الشديدة التي عاشها أقربائه بدءا من جده مع جدته ثم والده ووالداته، ربما تعود لأسباب ذاتية تتكون

[1]- بن جامين سبوك وآخرون: موسوعة العناية بالطفل، دار الملايين، بيروت، 1976م، ص 11.

[2]- الرواية: ص ص 213- 214.

في نفس الإنسان نتيجة الإهمال أو سوء المعاملة أو العنف، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية كالفقر والبطالة وسياسة كالحرب التي شهدتها لبنان، وتدهور العلاقة الأولى بين جده وجدته أثر بالسلب على الأبناء وتوارثته العائلة بعده، كما أن السبب الرئيسي لتعنيف جده لجدته هو شربه للخمر (يضرب جدتي عندما يسكر) أي عندما يكون في حالة لا وعي.

إن الواقع المرير وعدم الاستقرار من الأسباب التي أدت إلى عجز الراوي عن التغيير والسيطرة على الوضع مما أدى إلى فقد الثقة في كل ما حوله ليتحول كل شيء إلى عدم يقول: **«يا صديقي، عالم قائم بذاته، الأناس الآخرون يفترسون السماء، لكنني أقل لك، إن الطريق الوحيدة لعبور العالم هي المرور عبر السفلي»**[1] لا ملجأ لراوي سوى الاختباء والنزول للعالم السفلي، عالم القذارة والوسخ (عالم الحشرات).

واثر ما تعرضت له ذات السارد يلجأ إلى دوامة أخرى، دوامة الانحراف، إذ يتخذ من السرقات سندا رآه أفضل من وحشية الظروف المحيطة به، وعند إحساس الفرد بفقدان الهوية، يلجأ إلى اختيار الهوية السلبية وهو ما يسميها أرسكو بتفكك الأنا، حيث النتيجة الحتمية فقدان الهوية[2].

ينتقل الراوي في حواراته مع المعالجة إلى سن ما بعد طفولته "سن المراهقة" عادة الطفل في سن المراهقة يحبذ أن يكون صاحب قرارات لتنفيذها ولا يبقى ركين وسط العائل، هكذا بطل الرواية ينتقل من مرحلة الطفولة البائسة حيث كان يتلقى سلوكيات تتناقض مع سنه، ليبدأ في سن المراهقة بتنفيذها، يلقى في حيه بأبي "رورو" سارق الحي وهنا يقع في مجتمع آخر أكثر تصدعا وانحرافا، فهو ارتمى في أحضان اللص، المعروف باحتياله على صغار الحي، ومرشده المنحل أخلاقيا ليبدأ خطوة ثانية تجره إلى عوالم أخرى كالسرقة والنصب وتنفيذ الخطط الإجرامية... يصرح الحشرات وحدها قادرة على ما لا يستطيع الإنسان فعله، والحقيقة حينما يتحول إلى حشرة قد وصل مصير مجهول وحياة بائسة لا جدوى منها. وفكرة التحول إلى عالم الإجرام والتعدي على حقوق الغير ما هي إلا نتاج

[1]- الرواية: ص 38.

[2]- محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 135.

ومؤشراتها ترجع إلى أيام الطفولة أين عاش وضع أسري أنجبت ما يكون عليه فالوضع الأسري بصفة عامة ينعكس على الأبناء سواء سلبا أو إيجابا وفقا لدرجة الاستقرار الأسري وعدم استقرار أسرة بطل الرواية هو بدوره صورة من صور انعدام الضبط الاجتماعي الذي يعرفه (alyout) على أنه: «اضطراب أو انشقاق أو صداع على الإجماع يحدث في نطاق جماعة من الجماعات أو في مجتمع ما ويؤثر على العادات الاجتماعية السلوكية المقررة أو على النظم الاجتماعية بصورة يجعل من المستحيل أن يتحقق لهذه الأمور أداء وظيفي منسجم نسبيا دون حدوث توازن له دلالته»[1].

تمتاز البيوت التي ينتمي إليها ذوي السلوكيات المنحرفة بالتفكك والافتقار إلى القيم والأخلاق وضعف الضبط، وعدم وجود أساليب للترويح عن النفس في المنزل، وعدم وجود استقرار تام في العائلة، فعائلة راوي تعيش حالة خلافات يومية والمشاجرات الدائمة بين الوالدين يعتبر نوع من أنواع التصدع الأسري وهو التصدع المعنوي الذي يجعل التفاهم والمحبة والاحترام من العناصر المفقودة داخل الأسرة، ولهذا سلبياته، كما هو التصدع المادي في الأسرة[2].

هذه بعض السلوكيات التي عاشها البطل، والتي جعلت منه طفل ضائع يلجأ إلى الشارع ليلتقي بأبي رورو سارق الحي ويقيم معه علاقة صداقة ويعلمه سلوكيات تتناقض والأخلاق والدين، يجره إلى بيوت الآخرين ويعلمه كيف يتسلل عبر الأماكن الصعبة، ويساعده في ذلك ويصحبان شريكان في عمليات السطو على ما ليس ملكهم.

**«وما إن أصبح داخل منزل، أو كنبة أو مدرسة، حتى أتوجه مباشرة صوب الأشياء القيمة، سرقت منها كلها [...] رفعت عير النوافذ والثقوب وحوشة مجموعات قضية، وصلبانا، ونقودا، وساعات، بل أخذت وقتي فير قضم بقايا الطعام والفتات على منضدات المطبخ»**[3].

---

[1]- خالد بن سعود البشير: مكافحة الجريمة في المملكة العربية السعودية، الرياض، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ص 82.

[2]- الحامد معجب: دور المؤسسات التربوية غير الرسمية، مركز الأبحاث مكافحة الجريمة، الرياض، ص 04.

[3]- الراوية: ص 38.

بطل الرواية إعتاد حياة البؤس والضياع والفقر والاضطرابات الأسرية والتشتت العائلي، لم يعيش طفولة كما ينبغي، دور الوالدين غائب في التوجيه وضبط لسلوكياته وكذا بيئته تعج باللصوص والمحتالين... فالسرقة والأمانة من السلوكيات التي يكتسبها الطفل من بيئته، أي أن الأمر عبارة عن سلوك اجتماعي يكتب عن طريق التعلم، فالطفل الذي لم يتعلم التفريق بين خصوصياته وخصوصيات الغير أو بين ملكيته وملكية الآخرين يفتقد التفريق بين حقوقه وحقوق غيره، بل ويستمر في عدوانه لمدارج عمرية أخرى تتعدى مرحلة الطفولة.

كما ترجع اتجاهه لعالم السرقة لعوامل أسرية أخرى كأساليب القسوة في المعاملة والعقاب المتطرف والألفاظ العنصرية والعنيفة.. يقول السارد عن أمه «... تطادرنا وهي تلعننا وتهددنا بأنها ستحفر قبورنا»[1].

أولادك «الأغبياء، المتأخرين، الوسخين، المتخلفين»[2] والأطفال كما هو معروف يتقمصون شخصية والديهم، ويتمثلون سلوكهم، كنموذج تربوي بشكل شعوري أو لاشعوري، ويتحدد النمط السلوكي داخل الأسرة بتصورات الدور والمواقف وسلوك الدور الذي يقوم به أفراد الأسرة.

لجوء والدي البطل إلى أسلوب العنف والقوة والشدة، هذا يغير حياته ممارسة العائلية دورا سلبيا يتناقض مع الدور النفسي الذي يفترض أن يكون من مسؤولية الوالدين تجاه أبنائهم، كما يؤدي أسلوب الشدة في جملته ما يؤدي به أيضا إلى تحقيق مبدأ الاغتراب النفسي الانفعالي عند الأطفال «وأسلوب الأبوان كما يدركه الأبناء في نقل القيم والعادات والنماذج السلوكية والمفاهيم الاجتماعية إزاء قضايا معينة، والخبرات والمهارات الاجتماعية للأبناء من أجل تشكيل اجتماعي مقصود أو غير مقصود»[3]. الخطاب الأسري للوالدين هو مجموع السلوكات الظاهرة اللفظية أو المادية التي تصدر من أحد الوالدين أو كليهما أثناء

---

[1]- الرواية: ص 11.

[2]- الرواية: ص 66.

[3]- مصباح عامر: التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلاميذ المدرسة الثانوية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2003، ص، 93.

التنشئة أو التعامل مع أبنائهم داخل الأسرة في مختلف المواقف التي تحدث خلال الحياة اليومية قصد إكسابهم مجموعة من أنماط سلوكية أو قيم أو معايير أو إحداث تعديل فيها أو تغير سلوك، هذا الخطاب الصادر للوالدين والمستخدم يوميا يؤثر على سيرورة التنشئة الاجتماعية للأبناء. هذا من جهة التعامل الأسري المؤشر في التنشئة الاجتماعية التي عاشها البطل، ومن جهة أخرى يقول بأنه يتجه للأشياء القيمة وسرقتها كالنقود، هذا يدل على أن العائلة تعيش فقرا جعل البطل يدخل في دوامة الانحراف والسرقة: حيث يؤكد الكثير من الباحثين صلة الفقر بالسلوك الإجرامي، فقد قالوا" إن الفرد إذا كان محتاجا فانه لا يتنوع عن ارتكاب أية جريمة للحصول على المادة ليعيش منها، وقدر رأى أفلاطون أن السبب الأول والمهم في السلوك الإجرامي هو حب الثروة والمجتمع المادي[1].

وفي العصر الحديث أدخلوا على هذه النظرة تعديلات منها ما ذهب له هيلي "william helly" أن من الحالات التي درسها كان الفقر هو سبب الرئيسي في الإجرام[2].

في وسط تتخبط فيه العائلة في ظلمة الفقر والفاقة والحرمان والحاجة لأبسط متطلبات الحياة، وتحت غطاء الرذيلة والإدمان لون الأسرة العنيف والغير مبالي لتوفير مستلزمات أسرته من مآكل وملبس... وتقضي العائلة أيامها ولياليها بؤسا لا أمل في الحياة الكريمة إلا الجوع والمرض والفيض. من هذه المعاناة يروي الراوي حياته يقول: «**تعودت أمي القول: لماذا على الفقير أن يعطي الفقير**»[3].

لقد أثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية أن الأسر ذات المستوى الاجتماعي المنخفض تكون سلوك الآباء فيها تمتاز بالسلطة والصرامة، والميل إلى ممارسة العقاب البدني، مما يشعر الطفل بالألم.

---

[1]- سعفان حسن شحاتة: علم الجريمة، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1966، ص 127.

[2]- المرجع نفسه: ص 127.

[3]- الرواية: ص 209

قد تتعلق آفة السرقة عند الطفل حين تحصل استجابة إلى الجماعة ضحية الانقياد لنزواتها ونزوعاتها الإجرامية المنحرفة يقول الراوي «**على المرء عندما يكون جائعا، أن يسرق، هذا ما تعود أبو رورو السارق جارنا في الديار، أن يقوله لي**»[1].

قدوته جار سوء لا يعرف سوى السطو والسلب والاحتيال، لذلك نجد الراوي سالكا ومنتهجا سبيل جاره، يتلقى البطل حتى وفي حيّه سلوكات غيرية غير مضبوطة فدفعته للانحراف وللسلوك الإجرامي، وقد اعتمد التفسير النفسي للسلوك الإجرامي على أساس أن اتجاه الفرد إلى الجريمة يرجع إلى ضعف الضمير الخلقي للفرد، أو غالى درجة معاناته من صراعات نفسية واضطرابات عصبية، تتدخل فيها عوامل تتعلق بتكوينه النفسي والعقلي. «**ويلاحظ أن الاتجاه النفسي في تفسير الجريمة يعتمد على أن النفس تتكون من مجموعة نوازع تصطدم بمعايير الحياة الاجتماعية والقيم، فتحد من جموحها وانطلاقها فيتولد فيها تصادم النوازع، مما يؤدي إلى اختلال في التوازن العام، وينتج هذه سلوك إجرامي**»[2].

يلتقي الراوي بصديقه أبو رورو سارق الحي ويكتسب من سلوكيات وبحكم سنه الصغير فحتما سيؤثر ذلك في عملية التكوين الذاتي وتصبح سلوكيات الانحراف والإجرام هي الطريق السوي الذي على المرء أن يسلكه. يقول الراوي عن جاره: "**وأنا صغير، أشاهد أبا رورو وهو يملأ قبضته بالفستق، بينما يقوم البقال بطحن البن. راقبته ليدس الخس داخل سترته، ويحتال على صغار الشارع بأخذ خرجياتهم و«كللهم»، أعجبت به مع أنني أعرف أنه جبان**".[3]

هذه الصور اللاأخلاقية والمتناقضة حتى مع ديننا الحنيف تجعل منه شخص منحرف وتأثر تأثيرا بالغا على مداركه وقدراته.

---

[1]- الرواية: ص 75.

[2]- فاضل داود علي: أسباب الجريمة، مجلة المنهل الشهرية للآداب والعلوم الثقافية، العدد 346، 1985، ص 38.

[3]- الرواية: ص 76.

**2- بمؤثرات خارجية:**

لما كانت الهجرة من أهم الهواجس التي عالجها الروائي العربي في كتاباته الإبداعية لما تحمله من خصوصية اجتماعية وثقافية ترتبط بالهوية والذات، فالوضع الأمني وعدم الاستقرار وتفاقم الأوضاع الاجتماعية المزرية جعل الكثير من الأفراد يفكرون في الهروب التخلص من جحيم الواقع المتعفن الذي فرضته العقول الجاهلة والسياسة القمعية... فاختيار الانسحاب والهجرة هي بمثابة رحلة لترميم الشعور القاتل والذات المتصدعة، حيث جل الأعمال الروائية تكاد تجمع على أن الهجرة في الواقع هي نوع من المنفى الاضطراري يتعرض له الفرد أو يعانيه بطرق مختلفة، كما أن غياب الاستقرار والأمن الداخلي، وغياب القيم المثبتة للهوية والمحافظة على كيان الجماعة، هو الذي جعله يعيش مأساة تلك الرحلة، وتعجل في تصدع عام لبنية الإنسان.

كلنا نعلم أن الصراعات الداخلية والطبقة تجعل من الفرد حائرا وفارا دائما من شيء اسمه تقبل الوضع أو استيعابه. والحقيقة أن ضعف الإنسان العربي هو الذي جعله ينقاد إلى الآخر الغربي، باعتبار منه أنه يعيش حالة من التخلف التي تنقد هويته، ومن هنا تبدأ الرحلة إلى العالم الجديد الذي قطع شوطا كبيرا في مضمار الحضارة، فتعرف الذات في عوالم الآخر، وتتحول الهوية إلى اغتراب جراء انقسام الذات على نفسها، فلا هي تستطيع أن تكسب هوية جديدة من بلد الهجرة، ولا هي تستطيع أن تنسى هويتها السابقة؛ وفي الخارج (الغرب) تزداد الهوية الأصلية انغلاقا عن النفس كرد فعل طبيعي للأقلية تجاه الأغلبية، ويزداد التمسك بمظاهر الهوية، «**إن فقدان الهوية أي الاغتراب قد يؤدي إلى ردي فعل متضادين مثل: العزلة والانطواء، أو الانتشار والعنف**»[1].

إن الجو القائم الذي تلفه كوابيس الاغتراب والهجرة، وعلائم الخراب والدّمار النفسي، هو المدخل الذي يشكل المكونات الأساسية لهذه الرواية لترسم حالة الاغترابات والصراعات النفسية عند جل الشخصيات.

[1]- حسن حنفي حسنين: الهوية، ص 25.

رواية "الصرصار"لراوي حاج هي رواية فُتحت على عدة فضاءات حضارية وثقافية واجتماعية... من خلال الاحتكاك المباشر بالآخر، فلقد أصبح الوعي بالإنسانية وتصدير ضعفها وانهزاماتها؛ هو موضوع إنسان الألفية الثالثة، لكل مل يحمله من توترات تهدد وجوده، وصراعات تتحكم في مساراته. لقد ألقت رواية "**الصرصار**" أضوءا كاشفة عن أزمة الإنسان المغترب، الذي يبحث عن هويته المفقودة في ظل مجتمع قامع، وساعيا لتحذير العقول؛ لينال من أفراده في مسعى حقيقي لتنميطهم بشكل يتفق مع الثقافة المخرسة المستلبة، وعلى العموم فالشرق «**لم يكن في يوم من الأيام معزولا عن بنية أجزاء العالم خصوصا الغرب، فالتاريخ يقودنا إلى الكثير من مظاهر التعامل بينهما منذ أن شعر الإنسان بضرورة الاتصال بغيره من الشعوب**»[1] ومن هذا الاتصال الذي ارتبط مجموعة من المهاجرين كانت لهم مكانة رئيسية في رواية حاج، فقد رصد راوي حاج واقع هؤلاء الذين تفكّكت لحمتهم الاجتماعية في مواطنهم وأصيب كيانهم بالشرخ والتشقق، كما أعطت صورة متكاملة لحال المهاجرين الهاربين من سلطة المجتمع.

لجوء الأنا للآخر الغربي، غيره شكلا ومضمونا فحتى الاسم الذي يكشف عن هوية الفرد هي مجهولا بالنسبة للراوي، يقول منصوري سمير في صدد حديثه عن الهوية الفردية بأنها: «**عملية تمييز للفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية، ومن السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم الاسم، الجنسية، الحالة العائلية والمهنية**»[2] فقد اختار **راوي** عدم ذكر اسمه وحتى بلد، ربما حتى لا يترك أثره في الآخر الغربي لأن الآخر لن يتقبل الأنا بكل سعة ورحب، بل سيلغيه ويعيد تشكيله كيفما شاء بدءا بهويته فيطمسها لينسبها بأنها قادمة من الشرق.

وبالحديث عن أحوال المهاجرين، استطاعت رواية "الصرصار" أن تفجر أصوات المهاجرين. وذلك حينما يطرح السرد لأصواتهم المسكتة أن تبوح داخل الرواية لتحكي عوالمهم المهمشة وهمومهم... كما يتتبع السرد تاريخهم المقهور لحظة هروبهم من بلدانهم

[1]- سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، ص 15.

[2]- منصور سمير: العولمة والهوية الثقافية للشباب الجزائري، مفاهيم وتجليات مجلة أفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد07، مارس 2017، ص 01.

لما لاقوه داخله من قهر وخوف وصمت متواصل، ثم الصعوبات التي يلاقونها دوما في مدينة مونتريال ومعاناتهم الليلية مع برد الشتاء القارس، تشترك حكاياتهم في تيمات ثلاثة مشتركة ومكررة (القمع، الهروب، ثم الضياع).

"**الصرصار**" لراوي حاج نقل فيها تجربته الانعزالية، وبعده عن الناس وغربته وخوفه من مجتمعات الهجرة التي لا تعرف الشفقة ولا الرحمة، مما يوحي بهزيمة الإنسان العربي المهاجر، وبقيت هذه الهزيمة مترسخة في عمق الذات العربية لتفجر مكنونها في السرد الروائي لذلك استطاع راوي من خلال تجربته الانفرادية والانعزالية شخصية مثقفة داخل الرواية إلى« **تمثل نماذج لشريحة كبيرة بدأت تدخل حيزا غير قليل في المجتمعات النامية، بشكل مباشر أو ايحائي، وبكل ما تختصر داخلها من تطلعات وقيم سامية، وتعرض بجلاء تلك الاحباطات التي قد يتعرض لها المثقف بفعل الصدام مع مجتمع تشيع في أوساطه الآفات، ويؤثر الثبات على الحراك.**»[1]

لقد أعطت ملحمة الهجرة نماذج متعددة في الفكر والفن والحياة، ومن هذه النماذج من كافح حتى ظل عربي اللغة والشعور والبيان، واستسلم الآخر للغربة، ولأمواج البيئة الجديدة[2] واللغة التي استعارها راوي حاج باعتباره عربي غير لغته الأم اللغة العربية، فاللغة نقد اللبنة الأساسية لبناء الهوية فإن غابت الأولى طمست الثانية حتما، ومن هنا تصبح لغة الآخر جزء لا يتجزء حتى من ذاته، وقد جسدت الرواية تخلي الذات العربية عن لغتها والتمسك بلغة الأم الغربي، وليست فقط اعتماده على لغته الانجليزية التي يعتبرها هي اللغة الثالثة بالنسبة له، وإنما مع بعض الجمل باللغة الفرنسية داخل المتن الروائي، وهذا أول مظهر من مظاهر تصدع الهوية القومية. وما دام الفرد العربي المهاجر يعيش في وسط غير وسطه الطبيعي وعاداته وتقاليد غربية أخرى، فلا بد له أن يتعايش مع الوضع ويندرج في هذا الوسط الغريب دون انصهار كلي فيه لأن «**الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد، إن وجدت**

[1]- أميرة علي الزهراني: الذات في مواجهة العالم (تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية)، ص ص 168 169.

[2]- سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، ص 39.

**فالوجود الذاتي، وان غابت فالاغتراب»**[1] ولعل استعارة لغة الآخر هو تخل ربما ليواكب الآخر وليجد لذاته مكانة تحياها حياة الآخر.

عاش راوي حاج تقريبا معظم حياته خارج وطنه لبنان، بعدما اضطرته الظروف للمغادرة وهو في سن مبكرة (ثمان سنوات)، واستطاع في رواية "**الصرصار**" أن يقدم لنا صورة أكثر من متصدعة لخصوصية الذات العربية، تفجرت أزمته لحظة وطأته أرض الآخر (كندا) بين التمزق الملتاع داخل بلده وخارجها، إن المآسي التي عاشها ولدت لديه عدم قدرته أو رغبته في الحياة ما قاده إلى اتخاذ قرار الانتحار وتنفيذ المهمة بحبل متين على غصن الشجرة «**لكن عندما شوهدت وأنا أتدلى من حبل ملفوف حول غصن شجرة، هرع أحد الذين يمارسون رياضة المشي واستدعى الشرطة المتنزه، جاء اثنان من رجال الشرطة لإنقاذي[...] كبلاني بالأصفاد وساقاني محفورا، كما قال، لتقويم وضعي**»[2] بعد محاولة انتحارية فاشلة تم توقيفه في مركز الشرطة الكندية، ومن ثم وضعه في مستشفى الأمراض العقلية، الملفت للنظر أن الكاتب لم يتناول حقبة المستشفى سوى على سبيل التهيج بعد خروجه وإرغامه على العلاج مع المعالجة النفسية "**جنفييف**" التي تم تعيينها من طرف المؤسسة لتقييم وضعه النفسي، ومرغم كذلك بإخبارها «**قصصا إذا كان هذا ما تريده هذا أفضل في العودة إلى مستشفى المجانين**»[3] إنّ محاولته الانتحارية الفاشلة «**لم تكن إلا وسيلة للهروب من ديمومة الشمس**»[4] وهو استعارة لرمزي «**القوة الجائرة في العالم التي لا يمكن المشاركة فيه ولا السيطرة عليها**»[5] نفهم من هذا أن البطل يمر بحالة نفسية قاهرة دفعت به إلى شراء حبل ومحاولة منه للتخلص من حياته وجوده العبثي، ويدل هذا على زوال الارتباط بين ذاته وهويته مما جعله يشعر بعبثية وجوده في هذا الكون واللاّجدوى من كينونته. وربما محاولة الانتحار «**كنوع من الفضول، أو ربما متحد للطبيعة، وللكون نفسه،**

---

[1]- حسن حنفي حسنين: الهوية، ص 11.

[2]- الرواية: ص 15.

[3]- الرواية: ص 81.

[4]- الرواية: ص 14.

[5]- الرواية: ص 15.

**وللضوء الذي لا ينفك يتكرر، شعرت بالإرهاق من ذلك كله. فمسألة الوجود استهلكتني»**[1] وقد تكون محاولته لإنهاء حياته والتخلص من عبء الوجود بسبب اغترابه، إذ نجد بعض علماء النفس يعتبرون الاغتراب سلوكا مرضيا يعكس موقفا إنسانيا من الذات خاصة. بهذا المعنى ينطوي على شعور الفرد بانفصاله وانزلاقه عن ذاته ووجوده، حيث «**ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته وهو فقدان الإحساس بالوجود الفعال**» [2]وهذا ما يدفعه إلى الإحساس بعدمية الوجود واحتقار الذات والتقوقع عليها، وفي غالب الأحيان ما يدفع لهذا الشعور بالفرد إلى الانتحار، وكما يراها عالم النفس"ايريك فروم" بأنها الحالة التي لا يشعر فيها الإنسان بأنه المالك الحقيقي لثرواته وطاقاته، بل يشعر أنه كائن ضعيف بحتمية كيانه على وجود قوى خارجية لا تمت بصلة لذاتيته بصلة[3].

إن لجوء الانتحار هو هروب من واقعه الممل والذي لم يستطع مواجهته مما أدى به التفكير بوضع حد لوجوده مما سبب له صراع كبير بينه وبين ذاته «**سأقف في مواجهة الشجرة أتخيل كيف سيبدو الأمر، التعلق بخيط مع رابط دقيق واحد مع الوجود. لكن كيف كيف يكون الوجود بلا انتماء؟**»[4] يرى أنه متعلق بذاك الحبل قد يثبت وجوده عند الانتحار (سنقوم بشرح النقطة في الفصل الثاني) وقد لا يفلح، كما أن الخيط هو الفاصل بين وجوده وعدم وجوده، ففي هذه اللحظة يتم خلخلة واهتزاز في النفس؛ إما أن يكن أو لا يكن، يكن حين يثبت وجوده، ولا يكن حين لا تنجح الفكرة أو تطبق.

كما يتبين لنا من خلال القول أنه حدث صراع نفسي مهول بينه وبين فكرة الانتحار أمام الشجرة، حيث أصبح يرى أن ذاك الخيط الرفيع بالرغم من أنه رابط دقيق ليس لديه القوة الكافية لتحمله، لكنه الوسيلة الوحيدة لمهمته، والتي هي أساس تفكيره وهو في الأصل صراع حاد وكبير من أجل إنهاء الهزيمة؛ ذلك أن الهزيمة لا تكون سهلة إلا بالموت، فما أصعب

---

[1]- الرواية: ص 15.

[2]- جديدي زليخة: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد08، جوان 2012، ص 349.

[3]- عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث الأزرايطية، الإسكندرية، ط3، مارس، 1991، ص ص 23-24.

[4]- الرواية: ص 265.

أن ينهزم المرء هو على قيد الحياة. كما أن إنهاء الوجود دلالة على النهاية التي ألت إليها النفسية الداخلية للشخصية، فما اختيار الانتحار دلالة على نوع من الاستسلام والرضوخ للهزائم المتوالية.

لقد كان اللسان الناطق في الرواية "راوي حاج" تائها في هذا البلد بعيدا عن المكان الذي اعتاد أن يكون فيه، فجميع الأمكنة ضاقت به، واستطاع أن يسرد لنا في ثنايا أسطره انشطارا ذاتيا بين الحين والآخر؛ فالذات تعاملت مع اللغة بوصفها لعبة فنية استطاعت أن تمرر لنا من خلالها أناها بكل عوالمها، أن السارد الضائعة في دائرة الهجرة[1] «**من لا وطن له، والبائس، والعالق في أروقة البيروقراطية ودائرة الهجرة**» وبذلك تصبح هذه الهجرة انزياحا فكريا ووجدانيا وعلائقيا ضمن ما تطرحه هذه الرواية، فليس من السهولة أن تكون عربيا وأجنبيا في الوقت نفسه. يوحي كلام الراوي بإحساسه العميق بالضياع والتشرد، والغربة ليس عاطفيا فقط، إنه ينبع من الغربة ذاتها التي ألقت به في مجتمع لا يؤمن بالتعددية الثقافية، كما يوحي كلامه إحساسه بالفقد، فقد وطنه رغم ما أصابه فيه دفعته للهروب إلا أنه واثر وطأته أرض الآخر أدرك قيمة الانتماء وثمن خسارة وطنه ما أصابه هزة عميقة في الهوية والانتماء بعد أن عصفت به رياح التهجير والقتل والاضطهاد والحروب وشرخا نهشت روحه مخالب البؤس والفقر والشقاء... مما جعله يعاني تمزقات روحية و نفسية فمن لا وطن له لا هوية له ولا انتماء ينسب إليه.

وبذلك تتخلخل الهوية حينما يشعر الإنسان بفقد وطنه ويصبح أغرب الغرباء كما يقال «**أغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه**» فالراوي عاش غريبا في وطنه، وزادت غربته في كندا، الأمر الذي أوصلته للعنة «**الطائرة التي حملتني إلى هذه البلاد القاسية[2]**».

دون الوطن يعتبر الإنسان يتيما، فكل من يعيش في الغربة مهما كانت ظروفهم فان الحنين وما يعتريهم يريد إحساسا بالوحدة والضياع فضلا عن التشرد في بلاد لم تتجبهم، فكأنه بلا أصل وانتماء، لأن الوطن هو الهوية وهو اللقب والأصل الذي نحمله أينما نذهب.

---

[1] - الرواية: ص 25.

[2] - الرواية: ص 19.

ويتفاقم إحساسه بالغربة في خضم العوامل المناخية في مدينة "مونتريال" بكندا وهي مدين معروفة بشتائها البارد جدا في معظم الأوقات، وصعوبة العيش فيها خاصة لمهاجر عربي فقير مثله لا يملك حتى أبسط ضرورياته كالألبسة المناسبة لهذا المناخ لذلك «**سيبقى عليك أتحمل الأصابع المجلدة، وخبة الجوارب المبتلة، ولزوجة يدي القابلة، وقامات المعاطف التي تمر بك الشوارع وهي تفتح وتغلق، وترفرف وتنفخ مثل الأشرعة التي يدفعها الهواء صوب الأرض الموعودة.**

**أنا هالك!»**[1].

صورة تعبر عن المعاناة التي لاقاها ويعيشها وفي نفس الوقت يتمنى أنه لو كان أحد من أولئك المارين به، حيث ينظر لهؤلاء ومعاطفهم الفخمة المهتزة أنها سفينة يدفعها الريح عن طريق الأشرعة إلى أرض التمني التي في نفسها وكانت أخرى أمنياتها؛ رحلة إلى الأمنيات، إلى حياة أفضل لكن تبقى مجرد حلم استحال التحقيق في ظل هذا الهلاك الذي آلت إليه روحه وحياته.

إنه مشهد جعلنا كقراء نشاركه قمة الحزن والبؤس والاحتياج كما أنه مشهد يوحي بتذمره القاتل من كل عناصر الكون المحيطة به بما في ذلك المكان الذي يقيم فيه «**فانه لمكان قذر متهادم هذا الذي أعيش فيه، لكن ما الفرق؟ لم يتغير الكثير منذ زمن ولادتي»**[2] وان دل هذا الكلام على شيء فانه يدل على انكسار وتحطيم رؤاه وآماله، وطموحه فيما هو أفضل، وهي فكرة يحملها الفرد العربي عن الآخر الغربي حول الحياة التي تنتظر كل مهاجر ملؤها الرخاء والرقي والتغير الجذري للأحسن، لكن الراوي أراد من خلال كلامه أن يبين انكسار أفق توقعه، ويثبت لذلك أن كل من يختار غير وطنه خصوصا مجتمع غربي يختلف تماما عن المجتمعات العربية فلن يتغير في حياته شيء، ولربما يزيد ذلك تعقيدا .

«**سأخبر كل سائح ألتقيه، وكل شقيقة تلقت بطاقة بريدية، أن لا شيء موجود هنا، لا ملكه، ولا أختام، ولا ديب راقصة، أو أيائل، أو أكواخ، أو أشجار عالية، [...]. وليس**

[1] - الرواية: ص ص 20-21.

[2] - الرواية: ص 30.

**وصف هذا كلها إلا مؤامرة، وهما، مكيدة، لا يوجد إلا ما يمكنه أن يتجلد»**[1] ويجد نفسه محروما حتى من أبسط ضروريات كالمأكل والملبس، أنه **«جائع ، فقير، وليس لدي أحد لا أحد... الجليد اللعين»**[2].

يتبين لنا إصابة الراوي بتصدع مسّ جل هوياته، وحتى كيانه وذاته وروحه، أي تصدع عام لاقاه في حياته. يتبين لنا من خلال هذا التصدع عملية تناقضية لرؤى البطل من جهة كان يعيش في لبنان ومناخها يتناقض مع المناخ الكندي، حتى وأن اشتد البرد في لبنان فلا يمكننا مقارنته بالمناخ الكندي الجليدي، ذلك أنها مصنفة عالميا من أكثر البلدان التي يشهد مناخها انخفاضا تحت الصفر طوال فترة الشتاء، كما تمتاز بكثرة الثلوج حتى في غير فصل الشتاء فهذا التناقض يفسر شدة تأثره بالمناخ القاسي والجليد.

الذي نخر جسده، لذلك كانت اللعنة على هذا المكان متكررة في كل مرة **«لعنت حظي»**[3]. **«... لعنة الله على ذلك ما من هزة رأس حتى في هذا المكان البارد، ولا حتى تلويحة يد خجولة، ولا ابتسامة من تحت الأنوف الحمراء»**[4].

لقد عمد راوي في تكراره المكان البارد و"**البلاد القاسية**" و"**البرد المستمر**" و"**العالم البارد**" و"**الثلوج**" و "**الجليد**" ... ولا يسعنا ذكرنا لجميع الاقتباسات لأنها متكررة وهذا يبرز شدة تأثره، وصعوبة تحمله لذلك المناخ، وسخطه وتذمره أو حتى ندمه لمجيئه لهذه المدينة التي قدمها لنا عبر سرده وكأنها وحش يقبض بفريسته لينهل من جسدها.

وعندما عبر أنه لم يلق حتى هزة رأس، وابتسامة من تحت الأنوف الحمراء؛ هنا يشير إلى ما يرمي به بعبارة "**الأنوف الحمراء**" ويقصد بها المجتمع القاطن بكندا، حتى هؤلاء الذين يتمتعون بحياة البذخ وتمتعهم بكل ما يتيح لهم حياة أفضل في الجو البارد ومع ذلك هم أيضا تحمر أنوفهم من شدة البرد، فما بالك بإنسان فقير تائه، لا ملجأ له، كيف سيكون

[1]- الرواية: ص 20.
[2]- الرواية: ص 21.
[3]- الرواية: ص 19.
[4]- الرواية: ص 20.

تأثير الجو البارد على مثل هاته الحالات الإنسانية البائسة؟ مجرد تخيلنا لتلك الصورة يشعرنا بالحزن والبرد والهلاك. وعندما يعبر أنه لم يتلق حتى ابتسامة هذا أكبر شيء يجعله يعيش بغربة في مجتمع غير مرحب به فيهم و الأكيد أنه اعتاد في بلده حتى وان كانت ظروفه قاهرة فيه لكنه يجد هزة الرأس ويجد ابتسامة ورد التحية من خلال اتصاله بأهله أو جيرانه... أنه قمة التصدع والشرخ الذي لاقاه الراوي، فلا تفاعل أو تواصل أو حتى يد تمد إليه كأن تمسح برأسه أو تصافحه تحيي فيه إحساسه بالوجود وبالاتصال مع الآخرين.

إن الحالة التي يعيشها البطل في وسط جو قاسي جعله يشعر أن لا فائدة ترجى حتى من التدخين الذي يذيب فيه إحساسه المجمد ويدفأ به جسمه ولو بقدر ضئيل، يقول في ذلك **«كان نفسي، تحت أضواء الشارع، يدخن كالموقد، وددت الحصول على سيجارة، لكن ما لا فائدة من التدخين في البرد؟»**[1] فعلا ما دام نفسه يخرج دخانا وكأنه شيء يغلى فوق النار كذلك هو يغلى فوق الجليد. ما فائدة التدخين ومن **«الذي يجرؤ على سحب أصابعه من جيبه لإشعال عود الثقاب في الريح الباردة»**[2].

ويتواصل السرد وتتواصل معه المآسي في ظل **«ظروف موضوعية واجتماعية تقف حائلا دون تحقيقها بالصورة التي تردد»**[3] وبقهر الظروف للذات التي تفقد الشعور بالانتماء، وتخل عن المسؤولية لتقضي على وجودها الطبيعي، ليحيا في شعور يثقل كاهله. يجد الراوي نفسه يعيش الجوع والبرد والفقر **«أنا جائع، ولم يبقى معي سوى القليل من المال»**[4] ففي ظل هذه الظروف الاجتماعية المريرة جعلته يحيا بذلك **«حياة عزلة واغتراب لا يرى من خلالها قيمة كبيرة للأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع»**[5] وما رافد هذه العزلة إلا

---

[1]- الرواية: ص، 204.

[2]- الرواية: ص، 204.

[3]- ماجد قاروط: المعذب في الشعر العربي الحديث ولبنان في عام 1945م، دراسة جمالية منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999م، ص 137.

[4]- الرواية: ص، 17.

[5]- يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر (الحنين إلى الأوطان)، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 2008م، ص 19.

مفارقات في هذه الحياة ومعضلاتها العويصة التي انبثقت من صميم شؤون الحياة وملابساتها ومعطياتها مما يجعل الفرد يهيش بفجوة كبيرة بينه وبين الآخرين، ولهذه المسافة انعكاساتها وأثرها السلبي على سيكولوجية هذا لإنسان، لأنه في زمان قد فرض الشر فيه بالقوة مهدما بذلك الكيان الإنساني ومصيره بتحطيم والغاء تفاعله مع بيئته الاجتماعية.

حتى المجتمع الذي يعيش فيه والذي كان آملا في أن يكون له الرفيق الحنون والمعين له، لا يبالي ولا يكترث لأمره، وحتى لجوعه؛ فالثقافة الغربية تختلف عن الثقافة العربية ذلك أن عادات وتقاليد العربي تتحرك فيه ولو بذرة شفقة لغيره، إن كان إنسان فقير أو جائع فلا يترك ولا يهمل، بل تمد له يد العون ويطعم وذلك من قيم ديننا الحنيف إلا أن المعالجة النفسية "**جنيفييف**" بالرغم من أنها عبرت رغبتها في إعادة تأهيل الراوي لكي يندمج في المجتمع الكندي، وأفصحت على أنها مساعدته في كل أمر «**اسمع... أنا هنا لمساعدتك عليك أن تشفق بي، أنا هنا لأنك تحتاج إلى المساعدة**»[1] إلا أنها في الحقيقة لا تريد مساعدته بل تريد فقط أن يخبرها «**بالمزيد من طفولتك**» فحين يخبرها أنه يحب «**الطعام برغم أنني بت أقلق مؤخرا في شأن النقص في الطعام**»[2] يريد أن يوصل لها أنه يتضور جوعا وفقر مدقع، وكأنه يقول لها أحتاج للمساعدة فأنا جائع وبحاجة للطعام قبل أن « **أموت بسبب الثلوج المزمنة**»[3] إلا أنها تتجاهل نداءه للمساعدة وترد قائلة **«هل حصلت على ما يكفي من الطعام في صغرك فأنا الآن مهتمة بماضيك»**[4] همها الوحيد معرفة ماضيه وما يدور حوله... وما يحتاجه الراوي هو الطعام، وليس العلاج أو العلاجات كما نسميها "**الفرويدية الزائفة**".

وبعودته إلى منزله استلقى «**على السرير، وتناولت دخاني وبلا أي سبب أصبت بالفزع، أو ربما بالاكتئاب، هذا الشعور ليس بالهوس الجنوني [...] فالأمر ليس إلا**

[1]- الرواية: ص 68.
[2]- الرواية: ص 68.
[3]- الرواية: ص 30.
[4]- الرواية: ص 67.

**حاجتي من جديد إلى الاختباء من الشمس وعدم رؤية أي يكن»**[1] وضعه الاجتماعي المزري هو الذي توقض داخل نيران الحياة الكئيبة وعبثية المصير، إنها صحوة الضمير المكتمل الذي لا يفوق على فعل شيء ينقذ به ذاته سوى الاختباء والهروب من المواجهة، وربما يقصد بقوله «**الاختباء من الشمس**» هو اختباء من ضوء النهار لأن البطل حين يكون خارج منزله يعطينا صورة عن فصل الشتاء البارد في مدينة مونتريال فغير الطبيعي أن تكون هناك شمس أو حرارة... يهرب من الضوء ليكون في الظلام، ونعلم أنه في الظلام لا تستطيع رؤية نفسه، وهو بتلك الحالة وعدم رؤية الآخرين، لأنه حين يرى الآخر الرافض له والمتفوق عنه سيرحك ذلك فيه شعورا بالدونية كما أن الظلام يخفي عنه كل ما يثير اكتئابه، وقلقه وحتى عجزه حتى لا يقع في صراع متواصل مع نفسه؛ لأن هذا الأخير بحيث عامة أثناء عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد نتيجة لتعارض مصالح الأفراد ورغباتهم في تحقيقها، ويوجد الفرد في موقفين متعارضين يتطلب كل منهما سلوكا معينا وقد يكون التناقض جسديا، عقليا، اجتماعيا، ونفسيا، ويتخذ الصراع النفسي مظاهر وأغراض متعددة من الشخص الذي يعيش حالة من الصراع مثل الاضطراب والقلق والانفعال والكآبة وشلل في القدرة على التفكير...[2]

يرى الراوي أن النور هو سبب في كآبته ومآسيه «**فالأمر الذي دفعني إلى الحافة هو الضوء الباهر الذي دخل نافذتي وحط على سريري ووجهي، لم يعد لأي شيء معنى بعد ذلك، ليس لأنني كنت أبحث عن هدف وخدعت، فأنا لم أشرع قط في البحث عن واحد»**[3] هنا يرى أن الضوء المنبعث من النافذة كشف له في لحظة عن ما يجهله وكأنه أول مرة يرى حاله، فالضوء يكشف وجهه المشحوب ويظهر لباسه المتهرئ، وجسمه الهزيل بسبب جوعه... وحالته التي تثير الشفقة، وأصبح كل شيء بلا جدوى، نعلم أن الراوي هاجر لعدة أهداف من بينها البحث عن حياة أفضل وكان يرى أن كندا هي الخلاص الوحيد له، وبمجرد

---

[1]- الرواية: ص 23.

[2]- عبد الحافظ سلامة: علم العنف الاجتماعي، دار اليازورة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م، ص ص 113 114.

[3]- الرواية: ص 48.

وصوله وحتى قبل شروعه في إيجاد هدف من الأهداف التي رسمها في اعتقاده أصابه ضياع كلي من قبل أنا يخطو خطوة أولى في عملية البحث، ربما أراد القول أيضا أنه لو شرع في ما كان مخطط له وفشل لعله يكون أمر مقبول، لذلك نظر لكل ما حوله "**أنه بلا معنى**" وكأن حياته توقفت قبل البداية.

يواصل قوله حين رأى« **شعاع النور يعبر نافذتي، وأدركت مدى تفاهتي في حضوره، وكم أنه غافل عن وجودي ليست مشكلتي أنني كنت مهملا حيال الحياة، بل إنني شعرت بطريقة ما ، بأنها هي التي أهملتني»**[1] من خلال هذا القول يتجسد لنا صورة التصدع الديني؛ يصور لنا الكاتب الخالق عز وجل في ذلك النور الذي فرض وجوده بتلك الحالة البائسة وهو ليس له يد فيها، وكأنه لوم وعتاب عن النور الذي كشف وتسبب له في تعاسته، وهو رافض أيضا لما هو عليه، وما اغتراب الفرد عن ذاته ومجتمعه ورفضه النواميس القائمة والواقع المقدر إلى خير دليل على جفاف إيمانه الديني. ولومه على قدر الله وهذا كفر بالله عز وجل، كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «**الله نور السماوات والأرض**»[2] هذا هو النور الذي أضاء على هذا العالم فأضاء الكون وأشرقت الأرض بنور ربها، فكيف للنور الذي عم الكون كله أن يكون محل لوم وسخط في تعاسة الإنسان؟ انه قمة التصدع الديني.

وفي نفس الوقت عندما أسدل ستار الغرفة شعر بشعاع الضوء ينتظره «**يومض وكيف لك ما هناك، ويقذف صورا في عيني، مذكرا بأن كوميديا حياتي كلها لا توال تعرض**»[3] يعتبر الراوي أن ذلك اليوم هو شريط حياته البائسة يمر بتلك السرعة عبر ستائر غرفته التي انبعث منها شعاع الضوء، كما اعتبر أنه كشف له وذكره بشريط حياته الهزلي والكوميدي، فالنور الذي يمر عبر الستائر مثله بشريط حياته ونحن نعلم أن الستار في العروض

[1]- الرواية: ص 48.

[2]- سورة النور: آية 35.

[3]- الرواية: ص 49.

المسرحية يرفع ويفتح لكي تعرض مقاطع من الأعمال الكوميدية، انه يصور حياته كلها وحين راح يغلق الستار فهو يسدله عن حياته الكوميدية البائسة.

يستغرق الراوي في سرد حالة الإحباط والملل وازدرائه لحاضره المثقل بعبثية وجوده، ويترنح بين حالتين: تتمثل إحداهما في الأحلام والتخيلات وأخرى في حالة الاكتئاب والتوتر «**بقيت، وأنا أسير إلى موعدي في القيادة، أنفض الغبار عن ثيابي ووجهي. وقفت خارج واجهة متجر الألبسة ونظرت إلى طيفي، وأنا أبدو الآن كالشبح في مواجهة طبقات من الملابس المعروضة والمعلقة [...] لأرى نفسي مرتديا أحدث التصميمات والألوان**»[1] ويتابع سرده «**إلتقطت أخر كرة غبار وأمسكتها بأصابعي بمزيج من التسلية والقساوة. تركتها تتفتت في مواجهة هبات الريح، ثم أطلقتها وأنا أراقبها تغادر مرتبكة متألمة، وضائعة في الهواء...**»[2] في هذه الفقرة نلاحظ أن البطل أثارت داخله حرب نفسية داخلية، تمثلت في ثلاثة مراحل:

**المرحلة الأولى:** (مرحلة تمني) لأنه تمنى أن يلبس أحدث التصميمات اللباسية الراقية.

**المرحلة الثانية:** مرحلة كان فيها استسلام ورضوخ لأمر الواقع، حيث مثل أحلامه في كرة غبار التي فتتها وجعلها تذهب مع الرياح، إنها صورة رائعة صوّر فيها بشدة إحساسه بالألم والتخلي عنه وفي نفس الوقت أحس أنه لا يستطيع أن يلبس ذلك اللباس بل استحالة أن يكون ملكه، ومن جهة أخرى كانت له الشجاعة في حركة بسيطة مستسلما بأن تلك الأمنية التي مثلها في حبة غبار وطارت في الرياح متألمة، ليتخلص حتى من جزء من ألامه، ومن ثم تتلبسه حالة الصرصور للابتعاد عن مواجهة واقعه بالكامل.

تعتبر الهوية السلبية عما يحمله الفرد من تمثلات سلبية حول نفسه والتي يكونها من خلال تفاعله مع الآخرين، حيث يميل الفرد صاحب الهوية السلبية إلى الإحساس بعدم التقدير من طرف الآخرين والناتج من بعض التفاعلات الغير المرغوب فيها، وحقيقة الأمر

[1] - الرواية: ص 99.

[2] - الرواية: ص 99.

أن الحكم بالسلب أو الإيجاب على الآراء راجع إلى طبيعة استجابتهم لما ينتظره منهم الآخرون[1]

لقد أشارت أبحاث "**الوسكا**" وأعوانها حول أزمة الهوية والانحراف لدى المهاجرين والتي دارت حول المهاجرين المغاربة[2]، بأن هؤلاء كانوا يبنون سلوكاتهم وتصرفاتهم على أساس التمثلات التي يحملها الآخرون عنهم، كونهم ينتمون إلى طبقات يمكن اعتبارها دنيا مقارنة بالمواطنين الأصليين، وهو ما دفعهم إلى احتقار صورتهم السبب الذي أدى إلى انحرافهم.

نعلم أن المجتمعات الغربية بصفة عامة هي ضد شيء اسمه البؤس، فهم يعيشون الطبقية، الفقير فقير، والغني غني على عكس المجتمع الشرقي حتى في طريقة الأكل، يقول الراوي ربما عن إعجابه وتأثره بطريقة الأكل الراقية للمجتمع الكندي **«أحب العبور أمام متاجر فخمة ومطاعم، وأراقب الناس من وراء الزجاج السميك، يأخذون أنفسهم على محمل الجد يضعون شوكهم في أفواههم في مابين المحادثات وهزات الرأس الوجيزة[3]»** ولأنه فقير ومحتاج ولا يستطيع أن يعيش حياة الرقي والفن فهو يحب على الأقل إشباع حاجاته بالمراقبة بالعين؛ لأنه وأحيانا يشبع الإنسان من شيء ينقصه بمجرد رؤيته لذلك... ويحب أيضا «**مراقبة النادلات الشابات السوداء القصيرة ومأزرهن البيضاء، لكنني لم أعد أتوقف وأحدق. المرة الأخيرة التي قمت بها بذلك، كانت في الصيف، [...]مراقبا زوجين يأكلان ببطئ [...] جاء من الداخل رجل بالأسود وطلب إلي الرحيل فورا [...] لكنني رفضت المغادرة»**[4] أخر مرة حصل فيها مراقبة بالعين للآخرين حين مر على زوجين يأكلان فالذي ينظر للآخر كيف يأكل هو إنسان جائع، حيث يعلن بقوله أنهما لا يتطلعان لبعضهما البعض فهو يعلق بأنها أناس لا يعرفون معنى الجوع أو الاحتياج، إنهم أناس راقيون، ولا توجد فيهم الصفة التي تميزه هو (مراقبة الآخر كيف يأكل) هنا الراوي لا مس واقع يعيشه

[1]- Malewska. P.m le processus de devalorisation de l'identite et les strategies identitaires, P113.

[2]-Malewska. P.m le processus la crise de d'identite et devances chez les jeunes immigres, la documentation française, paris 1982, p p 53-64.

[3]- الرواية: ص 112.

[4]- الرواية: ص 112.

الآخر الغربي الذي لا يحس ب هالا المهزوم والفقير الجائع والبائس، انه الإنسان الجائع يكون دائما عيناه تلوحان وتتبعان مسار اللقمة إلى الفم، إنها شهوة الجائع وهذا إن دل على شيء فانه يدل على أكثر من فقر مدقع وحين يطلب منه الرحيل لأنه لا يمثل النموذج الراقي بتصرفاته الهمجية تلك، يرد بالرفض في اعتقاد منه أنه بلاد حرة يستطيع أن يتصرف فيها بحرية، دون قيد، رفض الرحيل حتى **«جاءت سيارة الشرطة وخرجت منها ضابطتان وطلبتا أوراقي. ولما اعترضت وسألتها عن السبب، قالتا إن من غير القانوني التحديق إلى الناس داخل أماكن تجارية»**[1] حيث **«استمتع الزوجان بمشاهدتي كما لو أنني أحد العروض الواقعية حول قيام الشرطة بمطاردة أناس يعانون أعراض الشهوة للطعام»**[2] وحتى المتاجر التي كان يحب العبور أمامها، يجد أن القانون يصده عن ذلك، لقد تلاعب بين الإنسان الفقير والبائس، انه يعمل عقله فكرة يستطيع التلاعب والنجاة من وقوعه بين يدي الشرطة وهو في غنى عن هذه المشاكل، فقد استعمل دهائه، هم قالوا له أن القانون لا يسمح بمراقبة الآخرين وهو يقول انه ينظر لطيفه ليس إلا، لقد استرجع الصورة الأولى التي مر فيها على متجر ألبسة وينظر في زجاجها إلى طيفه، لقد بين أن الإنسان برغم فقره وتعاسته يبقى العقل ليس حكرا على فقير أو غني، وحين تمثل للزوجين هذا المشهد كما لو أنه أحد العروض المسرحية مستمتعان بمشاهدته، كان رده أنه لم يكن يراقب الآخر بل ينظر إلى طيفه وكان ينظر إليها كيف يأكلان وهو جائع والحقيقة انقلبت الصورة و أصبح هو الحدث الذي ينظرون إليه من خلف الزجاج. نستطيع القول أن الراوي وصل لمرحلة أين أحس باللاجدوى من وجوده ولا أحد موجود لينقذه بما هو عليه لحد قوله حين **«أمسكت بالشفرة ومررتها على جبيني، وعندها اشتد الحزن، ما جعلني أسقط الشفرة. أردت طلب المساعدة، لكن لن يرد أحد على ذهني أو أي اسم بت مريضا و أن الوجود لن يعود فيه أحد بعد الآن... راقبت نفسي و أنا مدرك «أنا آخر» أخذ في الهرب»**[3] يفصح هذا المقطع

[1] - الرواية: ص 112، 113.

[2] - الرواية: ص 113.

[3] - الرواية: ص 153.

عن شعور الأنا (الذات الكاتبة) بالوحدة والألم والضياع، وهو خطاب أيضا مع الذات التي تعاني من ويلات الانفصال والتشرد وبعبثية الوجود، انه يعني بالعجز والإحباط عكس التحقق، وضعف الإرادة وخيبة الأمل، وتخل عن الحرية[1] ومن ثم تبدأ معاناة الإنسان وتكون النواة الأولى للاغتراب عن الذات، فالتناقض الصارخ بين ما تريده الذات وما يريده العالم الخارجي، هو مدعاة لانفصام المرء وتشظيه، لذلك لا ملجأ للراوي سوى أن ذاته الآخرى **«أنا آخر»** غير الهروب من جديد. فمستوى الشخصية هنا تركب من مجموع التساؤلات التي تشير بطريقة مباشرة إلى نوعية الأزمة المرتبطة بالهوية من خلال انسداد الأفق ، حيث يأخذ تفكيره طابعا فلسفيا نابعا من علاقة الإنسان بالوجود، والغرض الذي جاء من أجله في لحظة سيطر فيها البؤس والوحدة والضياع والتشرد فاحتكاكه بالغرب لم يزده إلا تشتتا يتساءل **«أين أنا؟ وما لذي أفعله هنا؟ وكيف انتهى بي الأمر عالقا في جثة تقف من البرد وباستمرار»**[2] هنا الكاتب يرمي إلى تجمد أحلامه، كيف للحلم إلى أن يجسم شاخصا عامدا مكشر الأماني أمام البرد المتواصل، كما يشير أيضا إلى تجمد وموت الحياة، ذلك أن الإنسان مهما تكن طبيعته وقوته لا يستطيع تحمل شدة البرد في مقابل فعل ذلك إلا إذا كان جثة تُحفظ في مكان بارد حتى لا تتعفن.

يعد سؤال الهوية سؤالا جوهريا أوليا عند الفرد فحين يسأل: **«أين أنا؟ ومالذي أفعله هنا؟ وكيف انتهى بي المطاف هنا للتعبير عن أزمة الذات و أزمة الوجود، وأزمة المصير، لأن طريقة التفكير تحدد هذه الأسئلة وتحت حيرة الانتماء لهذا المكان القذر»**[3] ... حيث جعل الكاتب من ذاته كائنا آخر يخاطبه، أين موجود هو؟ وما الذي جاء به؟ و المآل الذي آل إليها ؟ وهو محاولة لفهم فلسفة الكون وفلسفة الوجود، وكأنه عتاب لعين يطارد الإنسان داخل فجوة الهوية في الواقع ليجعلها تعيش على وقْع شعور ما، أو ربما قد يكون قاسيا متسم بالمعاناة والضياع وفاقدا الطريق الصحيح المؤدي إلى المخرج الأمثل فاحتكاكه بالغرب لم

[1]- حسنين حنفي حسن: الهوية، ص 24.

[2]- الرواية: ص 20.

[3]- الرواية: ص 68.

يزده إلا تشتتا، ولا مناصَ من أن الذات تعد محور الوعي الكوني كله، فقد باتت فراغا خاويا يتحمل وقع كل شيء لا يعني ذاته، وإنما هو شيء غريب عنه ليقم من خلاله تغريب الذات عن نفسها. إن الوعي بالذات عنصر مهم في فهم الحدود مع الآخر، «**لأن الوعي إذا فقد أي من صيغ التجدد، التي تسميه بالثبات والرسوخ، تفقد الذات في انفتاحها المطلق هويتها بالتماهي في الآخر**»[1] إن الراوي لا يعي ذاته ولا يعي حتى كيف هو موجود «**وتساءلت كيف انتهى بي المطاف هنا لم انه مناف للمعقول. والسؤال هو: أين انتهى؟ جميع الذين يهاجرون يفعلون ذلك لتحسين معيشتهم؟ إلا أنني أريد تحسين مماتي**»[2] وهكذا ألقت به الأقدار إلى تعاسة أكثر مما كان عليها، حياته قبل الهجرة كانت ممات أي لم يعش حياة وأراد تحسينها بل عاش عدم وكأنه لم يعش يوما كباقي البشر، كما ولدت تجربته منذ وطأته أرض الغرب شرخا أصاب جهازه الهوياتي؛ فالهوية هي نظام متكامل، ينمو ويتطور لينتج كيانا روحيا وانفعاليا تعيش بداخلنا خلال مراحل العمر المتعاقبة، يبدأ من مراح الطفولة إلى مراحل البلوغ والتكليف، التي يشتد فيه النزوع إلى المعطى الإيديولوجي والتوجه الاجتماعي والدين... الذي تقوم عليه الجماعة، ولهذا قيل أن الإنسان اجتماعي بطبعه، وحاجته لكل ما يريح ذاته، فالهوية الانتمائية هي التي تحرك بداخله الشعور بالرغبة والتعلق، وتشير في داخله حب الأنا الفردي والجمعي والأكيد أن الهوية بوصفها ذلك الكل المتكامل والمركب الذي يتشكل من عناصر ثقافية ومعتقدية متنوعة من شأنها أن تخلق استفهامات وملاحقات داخلية وخارجية نفسية ومجتمعية «**فمالذي يحمل هوية مركبة يجد نفسه بالتالي مهمشا**»[3] حتى من ذاته؛ لأن العالم الآن أصبح أكثر تداخلا وأبرز صراعا وتطاحنا، والمغترب عن وطنه وهو في الأصل كان غريبا فيه فانه يقع في صدمات عنيفة سواء نفسية اجتماعية... وتجد نفسه في مرحلة من المراحل تحت صدمة اللانتمائية الشعورية، فأثر خطر الاغتراب في الأمم الآخرى الغربية سلبي على صاحبه إذ يجد... أنه

[1]- عبد الله أبو هيف: الجنس الحائر (أزمة الذات في الرواية العربية)، ص 09.

[2]- الرواية: ص 205.

[3]- أمين معلوف: الهويات القاتلة، تر: جبور الدويهي، دار النهار، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 09.

منطويا على نفسه هروبا من مرارة الواقع الاجتماعي ومن بؤس المآل خاصة من المجتمعات التي وجد نفسه فيها والتي انتقدها الراوي بأنها «**قذارة برجوزايـة**» ففي نقد العالم الإنساني "**فرويد**" للمجتمع البرجوازي رأى بذوره أن «**المجتمع يحمل الإنسان ألاما لا فائدة منها، تخلف مضاعفات بدلا من التحسن المنشود**»[1] ومن منظور "**فرويد**" نخلص إلى أن للمجتمع أثره السلبي على الفرد، إذ صار مجرد أداة اجتماعية تعيش تحت تصرف ووطأة المعايير الفاسدة فتعاني التهميش والضياع والقمع الذي ضاعف من عزلتها أكثر من تخفيفها.

من خلال طرح الرواية لأزمة الذات ورضوخها لواقع الاستلاب والتبعية وتغيبها لهوياتها أمام الغيرية حالة من التمزق بين مستويين من أنماط الهوية، فالذات أضحت تتجاذبها حالة من الصراعات النفسية والذهنية في ظل كل الظروف والممارسات القمعية التي لازمت الشخصية السردية على طول السرد الروائي.

هذا واشتغل التخييل الروائي على إشكالية الضياع والتشرذم الذاتي والنفسي المهزوم بانكسارات الهجرة، والتي طبعت كل شخصيات الرواية، وقد جسدت شخصية البطل صورة حية وناطقة الإنسان التي تجاوزت حالته الاجتماعية ضد الفقر المدقع. كما تم وصف التحولات **الصرصورية** بتفصيل شديد، وبالتالي يصبح هذا التحول فكرة وقبل كل شيء خيال، ويعد هذا البعد الخيالي للراوي مركزيا بقدر ما يكتشف سليط الضوء على ما يريد فعله خلال تحوله كالقدرة على الشلل، الانزلاق والزحف، الفقر والتهميش الذي يعانيه الراوي يقول: «**بحثت عن جوربي اللعنة عليها! لا يزالان رطبين، أضعهما في العادة تحت أغطية السرير، وأنام عليهما لأجففهما [...] أخذت أأنقب في ثيابي المتسخة، وجدت زوجا جافا أكثر قدما، متسخا، لكنه حاف. ارتديته، مذكرا نفسي، مهما يكن الأمر، بألا أخلع حذائي في حضرة امرأة أو مالك المطعم**»[2] انه وصف لقمة الفقر المدقع الذي لا يوصف، حتى أنه

[1]- ايريك فروم: أزمة التحليل النفسي، تر: طلال غريبي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص 37.

[2]- الرواية: ص 111.

لا يملك ضعف الجوارب ليغيرها حين يبتل جوربه الآخر، فيضعها تحت رأسه لينشفها بدفئ جسمه، كما يدل هذا الكلام أن غرفته كذلك ليست دافئة وتعاني البرد.

هاهو يقول ويعبر الراوي مستاءا عن حاله وحالة كل المهاجرين حين **«استلقيت على السرير وتركت الدخان يدخلني غير مخفف، تركته يفرخ لي أجنحة و أرجلا عدة، وسرعان ما وقفت حافي القدمين أفتش عن أخفافي الستة نظرت في المرآة، وبحثت من جديد عن أخفافي في المرآة، رأيت وجهي وفكي الطويل، وشاربي يتقطعان عبر الدخان من حولي، رأيت الكثير من الأقدام الحافية تتحرك»**[1] ففي لحظة كونه إلى فراشه وتواصله مع سيجارته التي ولج دخانها داخله وكأنه صرصور، ليست حالته والتي أصبح من خلالها محتاج إلى جوارب أكثر، وأثار ذلك تساؤل لعميق في نفسه: كيف له وهو في شخصية إنسان يحتاج إلى جورب واحد أن يوفر ذلك إن امتلك ستة أرجل، هنا يبين الراوي مدى معاناته حتى وان تحول إلى حشرة، كما أنه أشفق على حافي الأرجل وتحركت فيه الروح الإنسانية أثناء مواجهة المرآة من أولئك المهاجرين، ومثلهم **(بالأقدام الحافية)**.

إضافة إلى ذلك، ما زاد الراوي تصدعا وانكسارا نفسيا هو الفطرة الدونية والاحتقار الذي يواجهه سواء من قبل الغربيين أو المهاجرين، لأن الإنسان حينما يرغب في إقامة علاقة مع شخص آخر أو البحث عن العمل لكن وضعه كمهاجر فقير وحالته المزرية يحيل دون ذلك مما يزيده انهزاما أمام واقعه المرير، فمن يتقدم لرئيس الخدم **"بيار"** راغبا في عمل ك (نادلا) تطله إليه **«بعينين جامدتين وقال te es un peu cuit (أنت محروق أكثر مما يجب لذلك) le soleil t'a brûlé ta face un peu trop (لقد أحرقت الشمس وجهك أكثر من اللازم)»** [2] إنه تعبير عن أزمة المهاجرين المضطهدين على أنهم غزاة وآفات خبيثة، كما تم التجريد من إنسانيتهم وإضفاء صفة الشيطانية عليهم، إنه التمييز العنصري والطبقية التي لاقاها الراوي في مجتمع لا يؤمن بوجود آخر غريب عنهم خاصة وأنه مهاجر عربي حالته أكثر من مزرية وليس على الراوي فعل شيء سوى الصراخ في وجهه قائلا: «**أيها العاجز**

[1]- الرواية: ص 32.

[2]- الرواية: ص ص 44-45.

**العقيم، انتهت أيامك وجنسك معدود ليس بمقدور أحد الهروب من وقع الشمس على وجهه، ولا يستطيع أحد حجز المني العابر للجائع والمظلوم»**[1] إنها النظرة المحتقرة له كانت أحدى أسباب تأثره وتأزمه، وجعلت نفسه في صراعات لا متناهية.

وحين راح باحثا على رضا في مطعم فاخر، والتقى بصاحب المطعم سأله عن ما يريد «**هل من خدمة»**[2] إلا أن «**صاحب المطعم بقي ينظر بريبة إلى ملا بسه التي تتعارض مع المحيط الفاخر»**[3] حتى صديقه رضا (مهاجر إيراني) هو الآخر لم يجد فيه ما يميزه عن الآخر الغربي، هو أيضا بدوره احتقره من مظهره **«لا ينبغي لك أن تأتي إلى هنا أبدا [...] ها أنت تأتي مرتديا ثيابا كهذه [...] الناس هنا لا يحبذون ان يقوم متسكع مثلك بالتحديق إلى نسائهم وبناتهم»**[4]

يبين الكاتب من خلال كلامه مدى اشمئزاز الطبقة الراقية من الطبقة الكادحة، لا يتوقف الأمر هنا حتى أصدقائه الذين لا يختلفون عنه، والذين أغلبهم مهاجرين يشتركون في نفس الهموم والظروف... ألا أنه لاقى نظرة دونية واحتقار من طرفهم، وهذا ما ترك في نفسه أثر عميق وأنه يحيا حياة لا تمت بالإنسانية بصلة، وحتى **"شوهره"** وهي مهاجرة إيرانية التي أحبها وكل أمله فيها حتى أنه يقول **:« فأنا في ما عدا شوهره وقلة من القادمين الجدد إلى هذه الأرض لا أهتم بالحديث مع الكثير من الناس»**[5] هي الأخرى اغتبطت بمظهره حين **«نظرت إلّي وهي ترقص، تبسمت أحيانا، وتجاهلتني أحيانا أخرى. أمكنني القول كم أنها اغتبطت بمظهري البائس»**[6] تجاهلها له أحيانا مشفقة على حالته البائسة، لذلك لا شيء قد يعطي معنى لهذا الكائن البائس أو لهذه الحياة التي يحياها.

---

[1] - الرواية: ص 45.

[2] - الرواية: ص 37.

[3] - الرواية: ص 03.

[4] - الرواية: ص ص 86 87.

[5] - الرواية: ص 51.

[6] - الرواية: ص 60.

لقد أرّقته الحياة وكل من حولها، وأصبح لا يفكر بشيء سوى بتفاهة أعماله وأفعاله، انه كائن متألم لم يكن له الحظ في حياة مستقرة، هادئة ولا حتى تلويحة يد تخفف عن مآسيه وآلامه فقط وجد الذل والتهميش و التحقير، لينغمس في صراعات تخص كل معاني الشقاء واللاجدوى في بلد كانت كل أحلامه و آماله مرتبطة به لكن **« ما الفرق؟ لم يتغير الكثير في حياتي منذ زمن ولادتي»**[1] سوى شيء وحيد هو**«و أنا على الأقل أعيش اليوم وحدي»**[2] أحلامه كلها تبخرت، ولم يتغير شيء وجد نفسه وحيدا يعاني الأمرين؛ فقد الأهل ولا وطن وما يمت لها بصلة، والعبث في الغربة مكسورا مهزوما، لا يكترث لأمره أحد. فقط وجد من يهينه ويمارس عليه كل أنواع التسلط وفيها يقف القارئ مذهولا مستاء لحالته مع سقوطه صدقة في عالم لا يكترث لوجوده، سوى بعض ممن يريدون استدراجه، فمنذ وصوله إلى مدينة مونتريال التقى بسيدتين من "شهود يهوه" وهم طائفة دينية ملتزمين بتبشير ديانتهم والتبشير بها بتوزيع مجلاتهم وكتبهم (الكتاب المقدس) ويدعونك إلى اجتماعاتهم، وكثيرا ما يجلبون كتب بلغات المهاجرين؟، رفهم يعتقدون أن "يهوه" هو الاسم الوحيد والصحيح لله، وأن إيمانهم لا يعتمد إلا على هذا الكتاب، كما يتوقعون حدوث نهاية العالم في المستقبل القريب، بعد معركة كبيرة بين "يهوه" والكافرين وحسب معتقداتهم أنه سوف يتم تمييز كل الناس إلا أعضاء طائفة شهود "يهوه" المخلصين، وسيكونون أصحاب الأرض ويشارك 144000 منهم يسوع المسيح في حكم السماء[3]. هاذان السيدتان سألتا الراوي **«هل أنت مهتم بالعالم؟ وقبل أن يتسنى لي الرد، صفعتني إحدى المرأتين، تلك التي ترتدي المعطف الطويل ذا الحشوة، بنبوءة رؤيوية: أعالم أنت بطبقة الأوزون المثقوبة فوقنا ؟ [...] إن بها ثقبا، وهو يتسع الآن، ونحن نتحدث وسرعان ما سنشوى جميعا، وحدها الصراصير ستنجو لتحكم الأرض لكن لا تيأس، أيها الشاب، لأنك ستخلص نفسك اليوم إذا اشتريت هذه المجلة [...] وفي إمكانك هذا لك يا صاحبي الوسيم، النزول إلى الطبقة السفلية**

[1]- الرواية: ص 30.

[2]- الرواية: ص 30.

[3]- الرواية: ص 18.

**والاستماع إلى زعمينا»**[1] ويتواصل الرد **«تب» صاحت المرأة وهي تفتح الكتاب المقدس [...] هي كلمات الرب يا بني [...] اشتر يا بني، هذه المجلة (وهي تتضمن كلام الرب) اقرأها وتب»**[2] ترمي هذه الفقرة للترويج إلى الدين المسيحي من خلال اقتناء الراوي لتلك المجلة (الكتاب المقدس) وإثارة خوفه من الاحتباس الحراري المنبعث من ثقبة الأوزون والذي في اعتقادهما أن جميع البشر ليحرقون، ولهذا يجب عليه إنقاذ نفسه باعتناق تلك الديانة، كما أنهما تريدان أن يتبرعا لهما بما لديه من نقود**« وعندها فقط ستسمح لك الفرصة أن يتهلل بك يسوع مخلصنا»**[3] بمعنى حتى يرضي عنه الرب عليه أن يتبرع بالنقود، وبالفعل تم استدراجه بكلامهما حتى أنه في حواراته مع **"ماتيلد"** الفرنسية يؤكد لها بأن **«الأوزون سينشق منفتحا وسنشوي جميعا، وأن قلة فقط من المختارين سينقذهم الرب؟ سنشوى جميعا، وحدها الصراصير ومملكتها ستنجو من طوفان النار الأخير ذلك سنذوب جميعا مثل الجبن، وان جل ما أريده في ذلك اليوم هو أذوب قربك.**

**قالت:**

**أنت لست جادا.**

**-صدّقيني أنا جاد ولديّ مجلة تثبت ذلك»**[4] يبين في حواره مع **"ماتيلد"** إيمانه بفكرة احتراق جميع البشر من جرّاء اتساع ثقبة الأوزون، والبشر في حد ذاتهم هم المتسببون فيه، ويستدل على ذلك بتلك المجلة التي اقتناها من السيدتين متمنيا أن يحرق ويذوب إلى جانبها إن حدث ذلك، وهذا يشير أيضا إلى رغبته في لحظة جنسية معها.

من جهة أخرى نلمس تناقض الراوي حو لفكرة إيمانه، وهو ما يثبت تصدعه وتخلخل في هويته الدينية، حين صرح بأن كلام المجلة ذاك **«لا أساس له، وعلى أي حال، فان**

[1]- الرواية: ص ص 17-18.

[2]- الرواية: ص 18.

[3]- الرواية: ص 19.

[4]- الرواية: ص 47.

**الديانات تنفرني منها»**[1] كما أنه أراد أن يقول لها **«إنني لا أهتم بالديانات أيضا»**[2] ويواصل كلامه **«المرة الأخيرة التي فكرت فيها بالدين هي عندما اخترت الشجرة لأشنق نفسي عليها، كنت مستاء من الآلهة، أو ممن هو مسؤول عن إنبات الأشجار حول المكان [...] لم أفكر في الدين بقوة كبيرة، يمكنني لم أتخذ القرار بخفة»**[3] يعني أنه كان ينتمي إلى ديانة معينة لكن إيمانه بها كان ضعيفا، حيث يلقي لومه واستيائه من الخالق المسؤول عن وجوده ووجود الأشجار وجعله ينفر منها ربما لأنها تقف عائقا أمام ممارساته وكذا أمام اتخاذ قراراته، لأنه وكما نعلم أن ما من ديانة تؤيد وتسمح بفكرة الانتحار، ومن جهة أخرى لا يهتم بما ينصّه أي دين.

إن التمسك بالهوية تمسكا بالوجود والكينونة والحياة، يرى"محمد الوردي" بأن الهوية حسب تعبير خالص فاقد الهوية شبيه بالعبد القانع بعبوديته، الراضي بسلب هويته، فهو يفتقر للقيم العليا التي يعود إليها، وبالتالي تهون عليه استباحة كل ما يرتبط به حتى ولو أدى ذلك لاندثاره[4].

رواية الصرصار هي رواية مزدحمة بالشخصيات المهاجرة، وهم مجموعة من المهاجرين خرجوا من ديارهم إلى الغرب، يبتغون حياة كريمة وآمنة، حاملين حلم كونهم مواطنين أحرارا لهم كيان وكرامة، وسرعان ما اصطدموا بقيود أخرى لا تقل قسوة، كما عالجت الرواية القدر المأساوي للمهاجرين من مختلف الجنسيات، مع طرح الأزمة المرتبطة بوجودهم وهو يعيشون على هامش المجتمع في أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي عاجزين على تحقيق ذواتهم في المجتمع الجديد، وعاجزين في الوقت نفسه عن التملص من ذاكراتهم المحملة بالخراب، والأكيد أن أغلي الشخصيات يشتركون تقريبا في هموم واحدة، فكلهم عاشوا حالة من الاضطراب الداخلي، والعنصرية العرقية والضياع والصراعات النفسية

---

[1]- الرواية: ص 47.

[2]- الرواية: ص 47.

[3]- الرواية: ص 48.

[4]- محمد ناجي أحمد: الهوية ومكارم الأخلاق، مقال منشور في مجلة الثورة، مؤسسة الثورة للصحافة والطباعة والنشر، عدد 19681، 18 أكتوبر 2018م.

في الخارج (خارج الوطن) في واقع حكمة عليه جبروت الأنانية، فالحقوق كلها جاءت مهدورة وغائبة وهو ما يعبر عن خلخلة الهوية وانكسارها.

إن هذه الحالات المجتمعية جاءت تحمل معها مراحل تقلب المجتمع واضطراب المرجع (ديني، أخلاقي، اجتماعي...) على الواقع والفضاء الروائي، فانتظار التغيير هو شعور البطل وكل الشخصيات المهاجرة وأما تحطم المرجع فقد مثل نوعا من انكسار أفق التوقع الاجتماعي حيث فقد الجميع هويته التي كانت متصلا بها.

يرتبط الراوي بهؤلاء المهاجرين ولا خيار له في اختيار أصدقائه إلا هؤلاء البائسون من المهاجرين مثله، يلتقي بـ "**رضا**" وهو مهاجر إيراني فارسي الأصل ومنفي تعيس، يعيش حياة اللامبالاة بنظافته وغرفته، كما يعيش حياة التسكع والمخدرات والحشيشة، تم التعارف بينهما في حفلة إيرانية حيث يعمل كموسيقي واستطاع الموسيقى دخول تلك الحفلات التي تقام داخل البيوت وخارجها.

يعرف رضا بشدة تقديره لذاته، ويجتذب النساء إلى سريره عن طريق إغرائهن بما يبثه من قصص لاستدراجهن، كما أنه بارع في استعطاف قلوب الآخرين، فقد استعطف الراوي في منحه النقود عن طريق مناجاته بعظمة تاريخ بلاد فارس أو قصص أمه التي لن تراه قبل أن تموت ومن أكبر مسببات هجرته والتخلي عن وطنه وأهله هو الاضطهاد الذي مورس عليه في حقبة حكم الخميني، حيث أن الطقوس التي كانت تقام في حضرة الخميني والتي لم يستجب لها رضا وخروجه دون إرادته عنها، انه يخبر النسوة كيف كاد أن يفقد أصابعه كلها وهو يعزف لآية الله الخميني و **«كم أنه كان خائفا ومضطربا عندما طلب إليه حزب الله الإيراني ألا يعزف أمرا يسيء إلى الإمام المقدس، أي عدم عزف ألحان سريعة وغير دينية»**[1] وهذا ما كان قد يتسبب في قطع أصابعه لولا تدخل الخميني في ذلك والصفح عنه. هذا هو الهاجس الذي راود رضا كلما تذكر تلك الحادثة في الحفل المقام في حضرة الخميني وهو ما زاد رضا شرخا أصاب هويته خاصة وأن الموسيقيين معروف بأنه مرح وخفيف

[1] - الرواية: ص 39.

الروح، ويعيش على ما ينتج كمن تلك الآلة الموسيقية، فتخيل كيف يستقبل فكرة أن أصابعه قد قطعت؟ مجرد التفكير يجعل الإنسان مصدوما مذهولا، ويبقى يحيا صراعات نفسية لا متناهية.

تجمع تلك الخطة الإيرانية حول المهاجرين، وفيها تعرف الراوي على محبوبته "**شوهره**" وهي مهاجرة إيرانية، شابة جميلة اعتقلت إثر مشاركتها في حركة طلابية وتعرضت لجميع أنواع التعذيب **«فسجنت وتعذبت»**[1] وبقيت في هذا السجن مدة ثلاث السنوات، إذ تعرضت لعملية اغتصاب من طرف شهيد، وهو رجل ثري جدا، يعمل في الحكومة الإيرانية. حيث بقيت تأثير ذاك الاغتصاب يراودها طول حياتها، خاصة وأن صاحب الفعل هو أحد السجانين الإيرانيين حتى أنها أصبحت ترى أن **«الرجال جميعهم أشبه بالوحوش»**[2] ولم تستطع أبدا التخلص من الحالة المزرية التي آلت إليها حتى بعد هجرتها حيث تحكي للراوي عما ما حدث لها قائلة **«كان سجان في إيران، شاركت في الحركة الطلابية في أيام الثورة الأولى وتم توقيفي [...] هذا الرجل الذي رأيته يأكل في المطعم، اغتصبها عدة مرات كان سجاني»**[3] حتى أنها **«منعت من الكلام، والبكاء أو حتى التنفس، ثم حاولوا استمالتي إلى عالمهم الديني المتعصب»**[4] إن العنف الجنسي والتعرض لمثل هذا الفعل الشنيع يعتبر جريمة ضد المرأة بل وضد الإنسانية وانتهاكا صارخا لكل القوانين سواء الإنسانية أو القانون الإلهي ففي المشرع الجزائري مثلا فقد تعرض للاغتصاب في نص المادة 336 من قانون العقوبات[5] بأنه هتك العرض وعد هذه الجريمة من أبشع جرائم الشرف.

وقد حدد المقرر الأول للأمم المتحدة الخاص بالتعذيب ما يلي: «**من الواضح أن الاغتصاب والصور الأخرى من العنف الممارس ضد السجينات يشكل فعل التعذيب لأنه**

---

[1]- الرواية: ص 308.

[2]- الرواية: ص 308.

[3]- الرواية: ص 310.

[4]- الرواية: ص 310.

[5]- أمر رقم 66-156 المؤرخ في 18 صفر 1386، الموافق ل 08 جويلية سنة 1966، ويتضمن قانون العقوبات الجزائري.

**فعل مهين بالكرامة الإنسانية للمرأة ومن حقها في السلامة الجسدية»**[1] دراما هذه الشخصية لم تستطع التخلص من ماضيها اللاإنساني، فقد انتهك شرفها وتعديا على الحرية الجنسية للمرأة وانتهاكا لسلامتها الجسدية، وانتهاك صارخ لكل القواعد الإنسانية ومبادئها وحتى من الناحية النفسية يعرف الاغتصاب على أنه **«أشد أنواع السلوك العنيف الذي يقترفه الرجل بحق المرآة، وذلك لأنه سلوك يطعن عفتها وطهارتها»**[2] وهو ما يولد مشاعر وأحاسيس سلبية كالإحساس بتلطيخ شرفها، كما تصبح النظرة للحياة والمستقبل نظرة تشاؤمية، والاحباطات والاضطرابات التي قد تقع فيها الضحية. إذ تحدث تصدعا عاما على مستوى الشخصية.

بالإضافة إلى ذلك قتل خالها صديق **"مجيد"** الإيراني **«قتل خالي في النهاية»**[3] يسعى تأسيسه لمجلة سرية اشتراكية، يسارية، فكرية، بعد الثورة في إيران، إضافة إلى تعذيب أصدقائها أمامها... ما جعلها تضطر **«بعد ذلك بسنوات، اضطرت إلى مغادرة إيران»**[4] فالهجرة جاءت لتعبر عن استسلامها لهول الواقع المزري وحياتها البائسة، التي فقدت فيها كل ما يتيح لها الحياة الهادئة والسعيدة بفقد شرفها وعائلتها وأصدقائها كلها تصدعات جعلتها تلجأ إلى الهروب والهجرة إلى كندا، وترك كل ما ماضيها ورائها بحثا عن بديل يعيد بناء حياتها ويدعونها عن الصور المؤلمة التي تعيشها كل يوم أمامها، إلا أن كابوس الماضي لم يفارقها ولا لحظة.

وعن طريق **"شوهره"** تعرف الراوي على **"فرهود"** في حفلة إيرانية، وهو فارسي الأصل ومثلي الجنس، يتحدث عن الاضطهاد والتعذيب الذي تعرض له قبل مجيئه إلى كندا، ففي فترة حكم الخميني في إيران و **«بعد أن انتصر الخميني في ثورته، أحيينا كما تعلم الجماعة المثلية الجنس .. حفلة سرية، وأطلع شخص ما لابد من أنه مخبر النظام على**

---

[1]- روجر كلارك وران آلماند: العنف الجنسي توثيق انتهاكات حقوق الإنسان من قبل ممثلي الدول (موضوع انتهاكات حقوق الإنسان الخاصة بالمرأة والتي ترتكبها الدولة والمجتمع والأسرة في أوضاع النزاعات)، ط2، 2001، ص 65.

[2]- CITE D'ENTERNET WWW.ANNABAA.COM 20-05-2021

[3]- الرواية: ص 242.

[4]- الرواية: ص 242.

**ما فعله ،تمت مداهمة واحدة من حفلاتنا وساقونا جميعا إلى السجن»**[1] ويواصل قوله: «**طلبوا إلينا التوقيع على زرقة نعترف فيها بأننا مثليو الجنس [...] وأن أفعالنا مناهضة لله ورسوله، وأننا سنتوب ونصلي خمس مرات في يوم [...] إلا أنني لم أكن أعرف حتى كيف أصلي**»[2] إلا أنه رفضت ذلك، وبعد رفضه ساقوه إلى سجن مكتظ بالنسوة وهكذا «**انتهى بي المطاف في زنزانة صغيرة»**[3] فقد كان "**فرهود**" يعيش حرية مطلقة في تعاملاته الجنسية بما أنه مثلي الجنس بعيدا كل البعد عن الديانات، ذلك أن إيران قبل فترة حكم الخميني لم تكن دولة دينية بل كانت جمهورية إسلامية وبمجيء الخميني في مكان "**الشاه**" أصبحت إيران دولة دينية وبطبيعة الحال، فالدين يمنع ولا يسمح بتلك الممارسات الانحرافية والمشينة، فقد اعتقل "**فرهود**" بسبب مثليته، وفي السجن تعرف على أحد الملتحين، وأجبره على ممارسة علاقة مثلية معه، وأقنعه بفك آسره لكن عليه أن يصيح خليه، فوافق "**فرهود**" على ذلك وبالفعل «**أصبحت خليله»**[4] إلا أن موافقته كانت إجبارا، لأنه بعدما قام الملتحي باغتصابه فما كان عليه سوى رد فعله بسؤاله: **«كل الله يوافق على أفعاله فأجابني بأنني هبة الله له، الله يحب الجمل ويكافئ المؤمنين وابتسم ولمسني»**[5] إذ هذا الاضطهاد الذي عاشه "فرهود" والذي لم يستطع مواجهته أو التصدي له، فقد حكم عليه بالتقبل وعدم الرفض مما يجعله يصاب بالتفكك والانهيار والتصدع، فضلا عن الاستغلال الذي يجعله إنسانا فاقدا للشعور بالأمن والاستقرار وشعره بالتهديد والخوف على حياته، والسجن هو بمثابة الوسيلة الاستبدادية أرغمته على الخضوع والاستسلام لواقعه، ولا خيار له أمامه سوى أنه حاول الهرب من ذلك الملتحي برغم تهديده له أنه لم تركه فيضطر لإعادته إلى السجن، إلا أنه رحل عن ذلك الوطن وعن أهله وكل شيء متعلق بماضيه، ليقع مرة أخرى في واقع

---

[1]- الرواية: ص ص 139- 140.

[2]- الرواية: ص ص 139-140.

[3]- الرواية: ص 141.

[4]- الرواية: ص 142.

[5]- الرواية: ص 142.

الاغتراب وكما نعلم، في الاغتراب عجز عن التلاؤم مع الواقع، ولربما ليتملص من عنف الواقع المأزوم.

إلى جانب هؤلاء المهاجرين، تجسد المهاجر الجزائري "**يوسف**" كما يسميه الراوي "**البروفيسور الجزائري**" إذ يتضح بأنه مسلم ودبلوماسي ويمتهن مهنة الصحافة، متمسك بمظهره التقليدي المشابه للمثقفين الفرنسيين لتأثره بهم وهذا يفسر نوع من التصدع القومي، يخدش بالهوية والعروبة وبالثقافة الجزائرية، لأن إذا تباهى بثقافة معينة لا تكون إلا بالتمثيل لها، وامتثاله باللباس الفرنسي يعني أنه تخل عن تراثه الجزائري وبقيت توابع المستعمر حتى في لباسه.

كما يقدمه الراوي على أنه شخصية جادة الطباع وليس من السهل التعامل معه وذلك راجع لصرامة العقلية الجزائرية، كما أنه راجع لعدم ثقته به من خلال اعتقاده بأنه سارق ومحتال، هاجر البروفيسور هروبا من النظام الجزائري وحتى الجماعات المسلحة لأنه كان مناهضا لهما الاثنين، فكان يتحدث دائما عن الثورة والأدب، يعني أنه شخصية مثقفة، حتى أنه كان وكأنه يقوم بتوجيه أولئك المهاجرين الأفارقة الذين يجمعهم كلهم مكان واحد "**مقهى أرتيستا**" في **سانت لورانت** وهذا ما يثير مقت الراوي منه، ويبدي من خلال نفروه منه شدة غيرته به، حيث أنه كان فطنا للغاية لكل ما يدور حوله حتى وإن كان شارد البال ومثال ذلك حينما حاول الراوي أن يسرق **«نظارته وهو نائم، حاول مرة القيام بذلك في المقهى، إلا أنه علق نظارته حول عنقه بخيط يتدلى تحت عينيه الدائمتين التنقل»**[1] إنه يحافظ على كبريائه بالرغم من معاناته ويخفي تلك المعاناة خلف ذلك المظهر الذي يبديه.

لقد شكلت رواية "**الصرصار**" تيمة محورية لتشظي الهوية وفقدان الشعور بالانتماء للمهاجرين عقب أحداث مست أقطار عربية وما نتج عنها من أحداث سياسية واجتماعية عصفت بهذه المجتمعات بطل طوائفه وقومياته المتنوعة، فالرواية تحكي الشتات المجتمعي لهؤلاء المهاجرين الذين أمنوا بأرواحهم بعيدا عن أوطانهم بعد أن فقدوا الأمن والأمان والاستقرار

[1]- الرواية: ص 151.

كما تحكي الرواية عن ضياع واستغراق الذات في تفاصيل الآخر الغربي، بما يفقده معرفة ذاته الحقيقية، إذ تحولت الذات إلى ذات غريبة عن واقعها ومحيطها الأصلي.

# الفصل الثاني:
# تقصي الذات وإعادة ترميم صدع الهوية في رواية "الصرصار"

**أولا: ماهية الذات.**

**1- مفهوم الذات.**

أ- لغة.

ب- اصطلاحا.

**2- خصائص الذات.**

**3-أبعاد الذات.**

**ثانيا: تقصي الذات.**

لقد استقطب موضوع الذات اهتمام عديد من المفكرين والفلاسفة والباحثين خاصة علماء النفس، فمنذ وجود الإنسان وهو مراقب لذاته ومهتم بتطوير مشاعره الايجابية اتجاهها اتجاه غيره، حيث **«إن الذات بالنسبة للإنسان هي آخر يتعرف عليه شيئا فشيئا، فد يحبه الإنسان ويتصالح معه ويسعى لارضاءه ويغفر لزلاته، وقد يبغضه الإنسان ويمقته ويهينه، وعند ذلك تصبح الحياة ولا شك في نظره هوة سوداء لا نور بها[1]»**، هذا وقد وردت عدة تعريفات للذات نورد بعضا منها:

**أولا: ماهية الذات:**

**1- مفهوم الذات:**

**أ-لغة:** وردت لفظة الذات في معجم العلوم العربية ذات الشيء حقيقته وخاصته، وإذا قلت: ذات يده فإن "ذات" هنا اسم لما ملكت يمينه و "ذات" ناقصة، تمامها "ذوات" مثل نواة، فحذفوا منها الواو، فإذا أثنو أتمو فقالوا: "ذواتان" كقولك نواتان، وإذا ثلثوا وهو إلى "ذات" فقالوا: "ذوات"[2].

وجاء في المعجم الفلسفي لـ "**مراد وهبة**"«**ذات sujet و subject سيكولوجيا، ما به الشعور والتقدير، فتقف الذات على الواقع، وتستقبل الرغبات والمطالب، وتوحد الصور الذهنية**»[3] يصح القول أن موضوع الذات لا يخرج عن الجانب النفسي، فالنفس تهتم بالميول والأهواء، والرغبات وأيضا تحس وتفكر فهي التي تحرك الفرد.

أيضا وردت لفظة الذات عند "**جميل صليبي**" في المعجم الفلسفي في كون **«الذات في الفرنسية Essence في اللاتينية Essentia الذات النفس والشخص، يقال ذات الشيء نفسه وعينه، والنسبة إليه ذاتي، والذات أعم من الشخص، لأن الذات يطلق على الجسم**

[1]- محمد الخيار: صورة الآخر في شعر المتنبي (نقد ثقافي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص 43.

[2]- محمد ألتونجي: معجم علوم العربية، (تخصص- شموليته-إعلام)، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص 222.

[3]- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 321.

**وغيره، والشخص لا يطلق إلا على الجسم»**[1] نخلص إلى أن الذات هنا هي النفس والشخص وعين الشيء.

وفي قاموس المصطلحات الصوفية لـ **"أيمن حمدي" «الذات من حيث ما هي : هي عين قائمة، وهي متصفة بجميع صفات الإلوهية وأسماءها، لكنها في غاية البعد ونهاية الصعوبة في الإدراك لها والعلم بها وليس لأحد من المحققين بل ولا جميع النبيين و المرسلين ما عدا القدرة العظمى صلى الله عليه وسلم أن يحيط بها علما أو يدرك لها حقيقة تمتاز بها عن غيرها كتمايز الأشياء بعضها عن بعض وانما معرفتهم بها وإدراكهم لها وقطعهم بالعجز عنها مع إحتراق ذواتهم من هيبة عظمتها وجلالها»**[2] نفهم من هذا القول أن لفظة الذات مرتبطة بمصطلح الألوهية وأسمائها بالتحديد الذات الإلهية (الله عز وجل).

**ب- اصطلاحا:** يعد موضوع الذات من الموضوعات المهمة في ميدان علم النفس، ويعد مفهوم الذات حجر الزاوية في الشخصية فدوره الأساسي هو السعي لتكامل واتساق الشخصية، فالذات لديها أثر كبير في حاجة الفرد ليتأقلم مع بيئته ويكون لديه هوية تميزه عن الآخرين[3].

ولقد اهتم المفكرون العرب بمفهوم الذات إذ نجد **"الغزالي"** يقول: **«إن النفس خمس واجهات[...] النفس الملهمة، النفس اللوامة، النفس البصيرة، النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء، اعتبر الأربع منها حميدة بينما الخامسة غير حميدة»** ونلحظ اثر هذا أن **ابن سينا** هو الآخر يتفق مع **الغزالي** في كون الذات هي النفس اذ يرى مفهوم الذات **«على أنه الصورة المعرفية للنفس البشرية»**[4].

---

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م، ص 579.

[2]- أيمن حمدي: قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2000، ص 62.

[3]- قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 07.

[4]- المرجع نفسه، ص 16.

نجد أيضا "**زهران**" يعرفها بأنها:**«تكوين معرفي منظم ومتعلم المدركات الشعورية والتقييمات الخاصة للذات يصوغه الفرد كتعريف نفسي لذاته»**[1] معنى ذلك أن الذات هي ما يكتسبه الفرد من معتقدات وتصورات حول ذاته وبها يتم الكشف عن هويته.

أما **راجح** فذهب إلى القول بأن: «**مفهوم الذات هو فكرة الفرد عن نفسه أي الصورة التي يكونها عن نفسه بنفسه من خلال ما تتسم به من صفات وقدرات جسدية وعقلية وانفعالية»**[2] إذا أن هذا المفهوم لوجدنا أن الذات هي ما يتصوره الفرد و يظنه حول ذاته فهو يشعر ويفكر ويرغب فالذات ذاته وهو خير حكم.

أما الغربيين فيعد "ديكارت" أول من ناقش المدرك أو الذات كجوهر مفكر وقد تكلم بعد ذلك المفكرون عن مفهوم الذات يكونه "الروح Soul" تارة، واعتباره الذات "SELF" تارة أخرى[3]. يتضح من هذا أن مفهوم الذات يتأرجح بين عدة مسميات تختلف باختلاف الأفراد.

ويعد "وليم جيمس**JAMES**" نقطة انتقال بين الطرق القديمة والحديثة في دراسة الذات وقد حدد أسلوبين لدراسة الذات هما الذات العارفة والذات كموضوع، الذات العارفة تتضمن مجموعة من العمليات العقلية كالإدراك والتذكر والتفكير، أما الذات كموضوع هي الذات التجريبية العملية وتتضمن:

1- الذات كما يعتقد الفرد بوجودها في الواقع.

2- الذات كما يراها الآخرون.

3- الذات كما يتمنى الفرد.

وقد أضاف جيمس بعدا آخر إسهامه بالذات الممتدة وهي ما يملكه الفرد ويتشاركه مع غيره مثل: العائلة والوطن[4].

---

[1]- قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 30.

[2]- المرجع نفسه: ص 32.

[3]- محمد الكاظم الغزالي: مفهوم الذات والنضج الاجتماعي (بين الواقع والمثالية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، ط1، 2018، ص 22.

[4]- المرجع نفسه، ص 23.

ومن أوائل علماء النفس الاجتماعيين الذين ساهموا إسهاما فعالا في دراسة الذات، علم النفس الاجتماعي كولي **COOLEY** (1902) وهو صاحب الرأي المشهور. إن المجتمع مرآة يرى الفرد فيها نفسه ومفهوم مرآة الذات **«هو أن الفرد يرى نفسه بالطريقة التي يراها به الآخرون»**[1] وعلى ضوء هذا نجد أن الذات تتطور عند الفرد من خلال التأثير المتبادل بينه وبين الآخرين وتتشكل لديه صورة لنفسه جراء رؤية الآخرين له.

وفي سنة 1943 استعمل مفهوم الذات الأول لأول مرة بواسطة فيكتور ريمي والذي بعد من أنصار المدرسة الظواهرية في رسالته للدكتوراه وعنوانها "**The Self Concept As A Fater In Couaselingand Personality Organization**"[2].

هذا وقد وردت عند "**أدلر**" **ADLER** بأنها:**« تمثل تنظيما يحدد للفرد شخصيته ورؤيته، وهذا التنظيم يفسر خبرات الكائن الحي ويعطيها معناها وتسعى الذات لاكتساب الخبرات التي تكفل للفرد أسلوبه المتميز في الحياة، وإذا لم توجد تلك الخبرات فإنها تعمل على خلقها»**[3] يقودنا هذا بالتعريف إلا أن الذات هي من يحدد الفرد شخصيته، وفق تنظيم مسبق ومحكم وبفضل هذا التنظيم يكتسب الفرد خبرة وأسلوب في الحياة.

كما نجد "ساربين" **SARBIN** يقول :**«الذات هي بناء معرفي يتكون من أفكار الشخص عن مختلف نواحي وجوده فمفهومه عن نفسه هو "الذات البدنية"، ومفهومه عن أعضاء الحس لديه هو "الذات الحسية" وعن سلوكه الاجتماعي هو "الذات الاجتماعية».**[4]

نستنتج من هذا أن ساربين يرى أنها تتشكل من المكتسبات القبلية للشخص ومن تفكيره ويرى أن الذوات تتشكل بالتدريج والتنظيمات البدنية وبعدها الحسية ثم الاجتماعية.

---

[1]- قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 17.

[2]- المرجع نفسه: ص 21.

[3]- محمد كاظم الجيزاني: مفهوم الذات والنضج الاجتماعي (بين الواقع والمثالية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة صادق الثقافية، عمان، ط1، 2012، ص 24.

[4]- المرجع نفسه، ص 26.

أما "كاتيل" **CATTEL** فقد ذهب إلى القول بأن **« الذات هي الأساس في السلوك البشري وانتظامه»**[1] بمعنى أن الذات هي الأساس الفعلي في سلوك الفرد فهي التي تبين حقيقته للمجتمع من خلال سلوكه مع الناس.

أيضا **كارل روجرز** فالذات عنده**« مفهوم مركزي حتى أنه نظريته يطلق عليها نظرية الذات الشخصية والذات أو مفهوم الذات المصطلحان متكافئان بالنسبة لروجدز»**[2] ومعنى هذا أن الشخص هو المسؤول عن ذاته من خلال سلوكه وشخصيته التي يحملها وبذلك تفسر ذاته بالقوة أو الضعف.

**«في نظرية "روجرز" الذات هي العمليات النفسية التي تتحكم في سلوك الشخص»**[3] أنه ينظر إلى الذات من الناحية النفسية والسلوكية للشخص في آن واحد.

يرى "كارل غوستاف يونغ" أن **«الذات كيان يفوق الأنا تنظيما، تتضمن الذات النفس الواعية والنفس الجماعية وتشكل بذلك شخصية أوسع، وتلك الشخصية هي نحن»**[4] كما يرى بأن **« الأنا هي محتوى الذات الوحيد الذي نستطيع معرفته»**[5] من خلال ما ورد نلحظ أن الذات تفوق وتعلو الأنا، أما الأنا هي جزء من الذات لأن الذات هي التي تشكل شخصية الفرد.

حيث إن الأنا والذات عند **"كارل غوستاف يونغ"** بينهما فرق كبير وشاسع إذ يقول: **«المسافة بين الأنا والذات هي ذاتها بين الشمس والأرض. لا يمكننا الخلط بينهما»**[6]. أي أنه وحسب منظور "يونغ" الأنا بعيدة كل البعد عن الذات.

---

[1]- قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 25

[2]- المرجع نفسه: ص 27.

[3]- باربرا أنجلر: مدخل إلى النظريات الشخصية، تر: فهد بن عبد اللطيف وليم، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، د.ط، 1991، ص 471.

[4]- كارل غوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997، ص 94.

[5]- المرجع نفسه: ص 193.

[6]- كارل غوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، ص 190.

وترى النظرية السلوكية بأن **«الذات بنية معرفية يستطيع الإنسان بواسطتهما تكوين المعلومات عن ذاته وينظمها في مفاهيم ونماذج خاصة»**[1].

إلا أن هناك من يرى بأن **«الذات تعتبر نتاجا التعامل والتفاعل المتبادل بين الأفراد»**[2]. بمعنى أنها تحدث بين الأفراد كما أنها نتيجة خلقت من هذا التفاعل.

**2- خصائص الذات:**

تتمثل خصائص الذات فيما يلي:

1-منظمة (organisation): **«إن الفرد يدرك ذاته من خلال الخبرات المتنوعة التي تزوده بالمعلومات، ويقوم الفرد بإعادة تنظيمها حيث يصوغها ويصنفها وفقا لثقافته الخاصة»**[3]، أي أن أول خاصية للذات هي أنها بناء منظم وتتأتى من خلال خبرة الفرد وثقافته.

2-متعددة الجوانب (multifacted): ويقصد بها **«أن للذات جوانب متعددة وليس لها جانب واحد وتصنيفاتها متنوع حسب المجالات مثل المدرسة التقبل الاجتماعي، القدرة العقلية والجسدية»**[4].

3-هرمية (hiérarchisa): **«تشكل الذات هرما قاعدته الخبرات التي يمر بها في مواقف خاصة و قمته مفهوم الذات العام»**[5]، يتمحور هذا المعنى حول أن الذات هي هرم وهذا الهرم أو البناء يتشكل أساسه من خبرات الفرد.

---

[1]- ايغوركون: البحث عن الذات (دارسة في الشخصية ووعي الذات)، تر: غسان نصر، دار مهد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.ط، 1992، ص 29.

[2]- المرجع نفسه: ص 29.

[3]- قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 42.

[4]- المرجع نفسه، ص 43.

[5]- المرجع نفسه، ص 43.

4-ثابتة (stable): **«يتسم مفهوم الذات بالثبات النفسي وخاصة في قمة الهرم إلى قاعدته حيث يتنوع مفهوم الذات بشكل كبير وذلك لتنوع المواقف»**[1]، أي أن الذات ثابتة نسبية وليس مطلقة فهي تتغير مع الظروف والوقت.

**3- أبعاد الذات:**

هناك أراء متعددة ذكرت أبعاد مفهوم الذات ويعتبر وليم جيمس أول من ذكر أبعاده وهي:

أ- الذات كما يعتقد الفرد بوجودها في الواقع، هو ما اصطلح عليه بين علماء النفس بالذات المدركة.

ب- الذات كما يرونها الآخرون وهي ما تقابل ما اصطلح عليه بالذات الاجتماعية.

ج- الذات كما يتمنى الفرد أن يكون عليه وهي تعامل ما اصطلح عليه بالذات المثالية.

وأضاف جيمس بعدا آخر سمّاه بالذات الممتدة "The Extended Self" ويمثل كل ما يملكه الفرد، وما يشترك به مع الآخرين مثل العائلة، الوطن، العمل.[2] نستنتج من هذا كله أن هاته الأبعاد مرتبطة ببعضها البعض عبر علاقة تأثير وتأثر فالذات المدركة تتأثر بالذات الاجتماعية والذات المثالية تتأثر بهما معا.

كما نجد إسماعيل يرى أن أبعاد الذات هي:

1- الذات الواقعية كما في الواقع.

2-الذات المثالية ما يتمنى الفرد أن يكون عليه.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 45.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

3- الذات العادية حين توفر مفهوم الذات عند الآخرين[1] وبهذا نجد أن إسماعيل رأبه ليس ببعيد عن جيمس فكلاهما على نفس الوتيرة حفظ في تحديد التسمية.

على ضوء ما تطرقنا إليه سابقا نخلص إلى أن المفكرون سواء كانوا عربا أو غربا تختلف نظرتهم لطريقة معرفة الذات وقد يخلطون بين الأنا والذات في بعض الأحيان، فمنهم من يفسر مفهوم الذات من زاوية اجتماعية وآخرون يفسرونها من زاوية نفسية أ, سلوكية والمدقق للذات يرى بأنها تتكون من خلال رؤية الفرد لنفسه تارة ورؤية الآخرين له تارة أخرى، فكلاهما لا يمكن الفصل بينهما بأي شكل من الأشكال.

**ثانيا: تقصي الذات**

إن الذات هي المنطلق الأساسي في هذا العمل الروائي الذي يعتبر متنفسا للأديب عن ما يخالجه من تقلبات وصراعات وأزمات نفسية، إذ يجنح إلى إفراغ هذه المكبوتات أو التخلص من حملها عبر سرده، وكذا الصراعات الداخلية التي تأرق الجانب النفسي في تركيبه الداخلي في شكل قوالب روائية يفر إليها هذا الأخير ويتخذ منها سبيلا له في التعبير عن مخبواءاته وتقصي ذاته عبر لمسات خيالية لتشويق القارئ وجذبه، والأكيد أن هذا التقصي يتطلب ذات أخرى "الآخر" وفي هذا تقول الباحثة التونسية **"أسماء العريف بياتريكس" «أن الآخر جزء من الذات ورأت نفي الآخر بتر للذات، بمعنى أن قطع الجزء منها الجزء الملعون من الذات، هذا رغم أنه ضروري لاكتشافها إذ تصور الذات لا ينفصل عن تصور الآخر»[2].**

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن هناك علاقة وطيدة تربط "الأنا" بـ "الآخر" إذ لا يمكنها التخلص منها، فبناء الذات نفسها وتطويرها وتنميتها وانتقالها من مرحلة إلى أخرى مشدودة بالطرف الآخر الذي يقابلها باعتباره أنه لا يمكن الكشف عن وجود كيان الذات إلا من خلال التواصل والتفاعل مع "الآخر" وبالتالي لا وجود لـ "الأنا" دون وجود

[1]- قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ص 56.

[2]- الطاهر لبيد: صورة الأخر العربي ناظر ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999م، ص 22.

"الآخر" وهذا الآخر يلجأ إليه الإنسان في رحلة البحث عن ذاته أو إثباتها إما بالفعل أو القول أو الحركات أو الإيماءات...

رواية **"الصرصار"** هي بمثابة مرآة عاكسة تبين وتفصح عن أهم التحولات التي طرأت على تكوين الهوية المتصدعة سواء أكان هذا التكوين إيجابي أم سلبي، فالذات الفردية للروائي كانت نقطة انطلاق الكتابة الإبداعية التي وظفها الكاتب في شكل تخيلي بحيث يتضمن شخصيات وأحداث ربما تكون مستوحاة من الواقع أو بطابع خيالي مع حس واقعي.

ويتجلى في الرواية مؤشرات عدة، حاول من خلالها تقصي ذاته ومن ثم إثباتها.

من بينها **الصمت** هو لغة حوار العقل مع ذاته، ففي الصمت راحة وهدوء، تأمل، مواجهة تحدي، تجاهل... وهو لغة في كثير من الأحيان تكون له رمزية تفاعلية لإرسال رسالة معينة أو الرد على مشكلة، فالصمت يرتحل إليه الإنسان وينطلق منه، وفي كتاب الصمت **لدافيد لوبروتون** يرى أن: «**كل كلام يحرك الصمت ويمنح دفعة ملائمة للتبادل الخطابي، كما أن الصمت يحرك الكلام بمنحه زاوية خاصة بحيث لا يمكن أن يتخلى أحدهما عن الآخر من غير أن يضيع ومن غير أن يكسر خفة اللغة**»[1] وفي غياب هذا التفاعل بينهما لا يمكن أن نتحدث عن سيرورة التواصل، لذلك يلجأ الراوي إلى السيطرة على الحوار بلغة الصمت حيث يدخل في حوار مع معالجته «**اسمع أنا أحاول مساعدتك، وأقوم بكل ما في وسعي لمساعدتك، ألا يعد ذلك شيئا؟.**

**هذا عملك.**

**نعم، لكني ما كنت لأصبر عليك بهذا القدر لو لم أرى فيك أملا، أتدرك حجم ما تقوم به، السطو على منازل الناس؟**

**أخذني الصمت[2]».** فالتزامه الصمت يثبت من خلاله أن موضوع السرقة لا أهمية له بالنسبة له، وبالفعل غيرت الموضوع، وكان للغة الصمت إثبات الانتصار التواصلي

[1] - دافيد لوبروتون: الصمت (لغة المعنى والوجود)، تر: فريد الزاهي، المركز الثقافي للكتاب والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2019، ص 31.

[2] - الرواية: ص 212.

لصالحه، كما أن التزام الصمت هنا: **«يبدو نوعا من المقاومة والحفاظ على هوية على هوية شخصية وجماعية، وطريقه في التجذر في ما وراء الخطاب[1]».**

كما يعتبر الصمت رمزا للثقة بالنفس، وأحيانا يكون توظيفه أثناء التواصل مع الآخر أفضل من الكلام، ويترك في الآخر حيرة أو عدم القدرة في التعامل مع الموقف لأن **«الغير وهو يلزم الصمت، يعلن عن السلطة الكاملة لموقعه، إنه يترك ضحيته في حال من الشك فيما يمكن فعله، ويدفع بها إلى العجز»[2]**، كذلك يمكن أن تكون له مقاصد أخرى كضبط النفس للتحكم في الوضع أو رفضا للانكشاف وتعرية الذات كطريقة للاستفادة من فاعلية الكلام وبراءة الصمت، وذلك صيانة للنفس في المواقف الصعبة، لذلك يرتحل إليه الإنسان لإثبات ذاته وتحريرها من الوقوع في صراعات لا مخرج منها، وبالفعل تمكن الراوي من انقاض الموقف مع المعالجة النفسية جنفييف بصمته، رغم أنه مجبر على الكلام والإجابة على كل سؤال يطرح عليه حتى لا يضطر للعودة إلى مستشفى الأمراض العقلية **«وأنت بصراحة لا تعطيني المزيد من الخيار بصمتك [...] إذا سأخبرها قصصا إذا كان هذا ما تريده هذا أفضل من العودة إلى مستشفى المجانين»[3]** بالرغم من معرفته أن صمته سيعيده إلى ذلك السجن إلا أنه في وقت لاحق تمكن من الملاعبة بالحديث واتخذ من الصمت أيضا موقف قوة، وبالأحرى رفضا للموضوع المطروح (السطو على منازل الناس) دون أن تتخذ المعالجة من ذلك موقفا على عدم استجابته للعلاجات، ليتغير الحديث قائلا: «**غيرت جنفييف الموضوع...[4]**»، وبذلك أثبت الراوي أن الصمت شكلا للممانعة والمقاومة والرفض للتواصل لدرجة القطيعة. إنه آخر أسلحه الفرد للدفاع عن كرامته المهدورة.

لقد شكل الكلام في حواراته مع المعالجة مصدر قلق الراوي واشمئزازه حيث رأى في ذلك اللاجدوى والأفضل من هذا كله هو الصمت بدلا من الكلام حتى أنه صرح لها قائلا: **«الكلمات فيما يبقين بعيدين عن مصادر السوائل والحياة، لابد من وجود فرع في العلاج**

---

[1]- دافيد لوبروتون: الصمت (لغة المعنى والوجود)، ص 70.

[2]- المرجع نفسه ، ص 105.

[3]- الرواية: ص ص 80-81.

[4]- الرواية: ص 213.

**يتم فيه التشجيع على الصمت، ويشكل اللمس الجواب[1]»**، وبذلك يثبت لها عدم نجاح العلاج الفرويدي، وأن مشاكل الحياة والأزمات الإنسانية لا يقتصر حلها بالكلام فقد تكون لمسة يد كافية لترويح النفس ونجاح فاعليتها المجتمعية والذاتية بل وتلخص كل الأجوبة التي طالت مدتها دون هدف أو فائدة.

قد يواجه الفرد عدة مشكلات وأزمات وتتراكم عليه الضغوطات التي قد ينتج عنها تدمير عملية تحقيق الأهداف والغايات المرادة، إلا أن احترام الذات والثقة بالنفس تجعل من الفرد قادرا على التعامل مع تلك المشكلات ومواجهة العقبات وحلها بشكل سليم ذلك أن **«تقدير الذات يؤثر على سلوك الفرد، وعلى أسلوب تفكيره، وعلى كفاءته في اتخاذ القرارات، كما يسهم في تحديد مدى قدرته على استثمار طاقته لاقتحام المواقف الصعبة ومواجهة ضغوط الحياة، فيصبح أقل عرضة للشعور بالقلق، وأقل معاناة من الضغوط النفسية»[2]**، فالثقة بالنفس وتقديرها تجعل الشخص قادرا على تخطي العقبات والتحديات بكل ثبات. فحين تعرض الراوي لموقف في الشارع **«أوقفت الناس وطلبت نارا لكن أحدا لم يشأ أي أن يشعل لي سجارتي[3]»** لم يستجب أحد له أو يعيروه أي اهتمام ذلك أن المظهر الذي يبدوا به متناقض مع أصحاب ربطات العنق الذين كانوا أحد أسباب اغتباطه من شكلهم والذي حزّ في نفسه تلك اللامبالات منهم قائلا: **«عليك لتحصل على النار في هذه الأيام، أن ترتدي بزة وربطة عنق[4]»** إذ يثبت بذلك نقده لشكلهم بأنهم **«قذارة! جميعهم قذارة، هؤلاء الناس السائرون فوق الأرض[5]»** ما أثار في نفسه شعورا بالتعالي وبالثقة التي تظهر على الشخص وهي دالة على الراحة النفسية في مواجهة تلك الأزمات والتخلص منها بأريحية حيث أن ثقته بالنفس انتشلته من ذلك الموقف الدوني، لأنه وبالرغم من تلك الحالة المزرية

---

[1]- الرواية: ص ص 125 126.

[2]- حمري صارة: علاقة تقدير الذات بالدافعية للإنجاز لدى تلامذة الثانوي، شهادة الماجستير، تخصص الصحة النفسية والتكيف المدرسي، إشراف، د. بوقصارة منصور، جامعة وهران، 2011- 2012، ص ص 1-2.

[3]- الرواية: ص 325.

[4]- المصدر نفسه، ص 325 .

[5]- الرواية: ص 325.

التي يعيشها ويظهر بها كشخصية صرصور، إلا أنه أظهر بأنه أكثر إنسانية من أولئك الناس المتظاهرين بمظهرهم الارستقراطي، فيقول: **«يا لها من ريح قذرة، لا تدعني أتمكن من إشعال العود وفي كل مرة حاولت فيها إشعال عود ثقاب واحد تقف الريح إلى جانبي تنفخ في وجهي تضحك وتسخر مني[1]»**، ويواصل قائلا: **«رميت بالسيجارة على الأرض وشرعت في سحقها وأنا ألعنها وأهددها، وأذكرها بأنه لم يعد يوجد هواء نقي، ولا نسيم نقي، بل يوجد فقط غاز قذر مليئ بالدخان والضباب والسعال السقيم [...] أشعلت سيجارتي وسرت من جديد صاعدا منتصرا، ساخرا من الريح مظهرا أوراق تبغي المحترقة لكل المارة، لكل بشر مع كلب وزمام، لم أشعر بالخجل من استعراض انتصاري، نفثت دخاني بمظهر الأرستقراطي[2]»** لقد عبر بهذا الموقف عن مدى القدرة الايجابية التي تحلى بها ومدى إدراكه بقدرته الذاتية، وبذلك تكون الإستجابة للعالم الخارجي دون تأثير نفسي بسلبياته، كما أن التقييم الايجابي للذات **«هو إحدى العوامل التي سيدل بها على حالة التوافق الذهني، حيث يكتسب الفرد من خلالها عددا من السلوكات الفعالة كالقدرة على مواجهة الفشل واقتحام المواقف دون الشعور بالاكتئاب أو الانهيار، كما يدعم شعور الفرد بالكفاءة والفاعلية الشخصية، أما التقدير السلبي لذات فهو عنوان لنقص الثقة بالنفس وعدم القدرة على اقتحام المواقف الجديدة والتكيف معها[3]»** حيث أثبت الراوي قدرته على المواجهة، وحتى الرياح التي حالت دون ذلك متمكنة من إطفاء عود الثقاب، جعلت منه شخص متحديا لها يرمي سجارته مفضلا نقاء الهواء الذي يستنشقه بدلا من ذلك الدخان المنبعث من السيجارة التي كان يستنشقها، وبهذا قد نجح بالتلاعب بذلك الموقف الذي كان يرى فيه انهزامه أمام الريح ليجعل نفسه هو الرابح في ذلك الموقف ويعكسه لصالحه كما تجلت ثقته بالنفس في بعض المواقف الآخرى مع عشيقته شوهره حين صار نحو **«طاولة شوهره، وأنا صاحي جدا [...] وبمروري بالبار التقطت بضعة حبات فستق وصفقت بيدي وتابعت السيرة عبر الحشد إلى محبوبتي، إلا أن شوهره نهضت قبل أن أبلغ طاولتها**

[1]- الرواية: ص ص 325 326.

[2]- الرواية: ص 326.

[3]- حمري صارة: علاقة تقدير الذات بالدافعية للإنجاز لدى تلامذة الثانوي، ص 5.

**ولقتني أخذت بيدي وشرعنا بالرقص، رقصت بثقة، ورفعت جبيني عاليا صوب كرة المرايا البراقة التي تشع عليها بضوئها الفرح»**[1].إن تلك الثقة التي عبر عنها الراوي تفسر شدة رضاه عن نفسه، والقدرة على إثبات مكانته وذاته مع الآخرين، وحسب **"إبراهيم أحمد أبو زيد"** يوضح بأن **«تأكيد الذات هو قدرة الفرد على التعبير الملائم عن مشاعره وأفكاره وآرائه ومواقفه اتجاه الأشخاص والأحداث بناء على رؤيته لنفسه وتقييمه لتقدير الآخرين له فتأكيد الذات وفقه هو ذلك الدافع الذي يجعل الإنسان في حاجة حاجة إلى التقدير والاعتراف، والاستقلال والاعتماد على النفس، وهو أيضا تلك الرغبة في السيطرة على الأشياء والسعي الدائم نحو إيجاد المكانة والقيمة الاجتماعية»**[2] وحسب موسوعة علم النفس والتحليل النفسي فإن تقبل الذات هو رضا المرء عن نفسه وعن صفاته وقدراته وذلك من خلال سيره إلى الطاولة التي تجلس عليها شوهره يعي جيدا ما يفعله والتي بدورها بادرت بالوقوف إليه، وهذا ما زاده ثقة بالنفس وشرع في الرقص معها.

ندرك جميعا أن الحب أساس الحياة، بوجوده تكون علاقتنا متينة مع الآخرين وانعدامه تفقد الحياة لذاتها، والحب هو إحساس دافئ وعميق يرغب به الإنسان مع من قادر على منحه جرعات الحياة السعيدة والمشاعر النبيلة والصادقة، والتي من شأنها جعل الإنسان يتمتع بروح أقوى وأكثر إيجابية، بالحب يصنع الإنسان قوته، ويتمكن من اجتياز عقبات الحياة بثقة، وقد استهل الراوي افتتاحية روايته بطاقة ايجابية؛ تعبيرا عن إحساسه العاطفي **«أغرق في يم حب شوهره»**[3] ولعل هذا الحب الذي غرق فيه هو الرحلة البديلة التي حاول الراوي طرقها لمعرفة وإثبات وجوده، وأنه راغب في الحياة ذلك أن الحب لا يمكن فصله عن الحياة، ومن شأنه أن يجدد شعلة الأمل والاستمرار... فقد استطاع من خلال تلك المشاعر إدراك ما بداخله من أحاسيس وترجمتها إلى ذلك الحب الذي وقع فيه، إنه شعور

---

[1] - الرواية: ص 94.

[2] - إبراهيم أحمد أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة، القاهرة، 1997، ص 84.

[3] - الرواية: ص 13.

ينتشله من الضياع العاطفي الذي كان يعيشه وأحس بوجوده في عالمه الخارق للعادة إذ يقول: **«آه. الجميلة شوهره ! جعلتني أصاب بالجنون»**[1].

استطاع الراوي تحدي كل الظروف المحيطة به للوصول إلى مبتغاه، والحصول على محبوبته **"شوهره"** التي التقى بها في حفلة إيرانية، وكانت **«ترقص مع إيراني هزيل مثلي الجنس يرتدي الأسود، اسمه "فرهود"، ورقص وهو يحتك بجسدها المكتنز»**[2]، فبالرغم من مشاهدته لها مع شخص آخر إلا انه كانت له جرأة في ملاحقتها للحصول على رقمها وأبدى تلك الشجاعة والجرأة في التحدث إليها قائلا: **«طلبت من شوهره رقمها فقالت لن أعطيك إياه، لكنني لن أمانع إذا بذلت الجهد وحصلت عليه بنفسك، الأمر أكثر رومانسية على هذا النحو، ألا تعتقد ذلك؟»**[3]

وبالرغم من ذلك استطاع بطريقته الخاصة الحصول على رقمها، وبذلك أثبت قدرته، وتحدى كل عائق أمامه ليثبت شخصه دون استسلام برفع التحدي، ولم تكن جرأته في إثبات ذاته مع شوهره فقط فهو تمكن أيضا من كسب حب معالجته النفسية "جنفييف" حين قال لها: **«"أتحبيني؟**

**- نعم أنت محبوب".**

**تحبينني إذا؟**

**- نعم، أحبك.**

**- لماذا لا تظهرين ذلك؟ [...].**

**نحن في علاقة افتراضية هنا»**[4].

---

[1]- الرواية: ص 25.

[2]- الرواية: ص 26.

[3]- الرواية: ص 27.

[4]- الرواية: ص ص 211 212.

من خلال طريقة تعامله مع المعالجة النفسية بتلك الطريقة الجاذبة للاهتمام من خلال ما يسرده من قصص مثيره، ما جعل المعالجة تهتم لأمره بمواصلة عقد جلسات علاجية رغم تلاعبه بمشاعرها واستفزازها، وبالرغم من تباعد المستويات بينهما (هي طبيبته من الطبقة الراقية وهو مجرد شخص غريب تعيس)، إلا أنه كان يمتلك جرأة جعلته بكل طلاقة طرح سؤاله، وفي الأخير تمكن من جعل الآخر يكن له مشاعر إيجابية، وهذا من شأنه تعزيز الثقة بنفسه، والإحساس بالوجود.

إن الحاجة للحب والانتماء تظهر عندما يتم إشباع الحاجات الفيسيولوجية ومن هنا يكون الفرد بحاجة إلى علاقة تلبي رغباته ويعمل الإنسان كل ما يمكن له أن يحقق هدفه، ومن بين تلك الرغبات حاجته الجنسية، ذلك أن **«الجنس حافز بيولوجي، نتاج للكيمياء ضمن العضوية أما الحب فتوق انفعالي شديد [...]، ففي الحب حاجة للفرد من الشعور بالنقص والقصور، وفي الأول طلب الإشباع الجسدي، أما الثاني فسعي وراء السعادة[1].»**

وهذا ما يفسر رغبة الراوي الجنسية في مقاومة مكبوتاته حيث جل **«ما أردته هو أن أدفن رأسي بين فخذي امرأة وأمسح جبيني على صفوتها [...] قد تقبل شوهره بأنفي البارد[2]»**، وبالفعل قد أثبت الراوي قوته بوصوله إلى حاجته مع محبوبته شوهره **«مارسنا الحب»**[3] وهنا علينا أن نشير إلى دوافعه الجنسية والتي كان السبب الأول فيها هو الكبت الجنسي .والسبب الثاني وكما جاء في كتاب **"سيكولوجيا العلاقات الجنسية"** المحل النفسي الأمريكي **"ثيودور رايك"** أن **«للدافع إرضاءات لا جنسية ومن السهل ملاحظة هذه الإرضاءات أكثر وضوحا لدى الرجال من النساء، فالجنس لدى الرجل هو مسألة هيبة Perstige، فهو ليس مجرد فرصة لإزالة توتر جنسي، بل أيضا لإثبات رجولتهم، وقوتهم وليس مجرد إشباع لحافز فيزيائي بل هو أيضا عنده إشباع ذاتي انفعالي»[4].**

---

[1]- ثيودور رايك: سيكولوجية العلاقات الجنسية، تر: ثائر ديب، دار الهدى للثقافة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 2005، ص 32.

[2]- الرواية: ص 240.

[3]- الرواية: ص 73.

[4]- الرواية: ص 204.

وحتى محبوبته شوهره كان لها غاية في إثبات ذاتها، فغايتها من أنها تمارس الجنس مع بطل الرواية هو بعث رسالة عن طريقه لرضا وأبناء بلدها الإيرانيين، فهي تخبره عن رضا قائلة:**« لقد سعى يائسا إلى مضاجعتي، إلى حد أن عرض علي الزواج، رفضت عرضه بالطبع، لا ،لا أريد المزيد من الرجال الإيرانيين»**[1]، لأنها أصبحت تذيق ذرعا منهم فهم لا يريدون حسب قولها سوى **«من ينظف منازلهم ويضع طعامهم على المائدة**[2]**»**، مرادها أيضا أن تبعد أمثالهم من حياتها فتقول الراوي: **«سأنام معك ! لكن عليك أن تخبر رضا كل شيء عن ذلك، يحتاج هو وأمثاله إلى أن يفهموا، مرة أولى وأخيرة أنني لست عذراءهم المنتظرة»**[3]، إنها تبحث عن إثارة رغبة رضا بالتأكيد على الراوي بأن عليه أن يصف ملابسها الداخلية وكل ما حدث بينهما لرضا، إذ يتضح هنا خطة تمكر فيها شوهره عن كل الرجال الإيرانيين، ومن جهة أخرى يتضح رغبة الراوي الجنسية معها، فحين يقول: **« نزع كلانا حذاءه وطاردنا الصراصير السابحة [...] تدحرجنا في الوسخ، ومارسنا الحب فيه، إلى أن أصبح الوسخ شعارنا»**[4] هنا يتبين نجاح الراوي في استدراجها لحياة الصراصير التي تتسم بالقذارة حيث مارس معها الحب في لحظة لا عيهن من جراء احتسائها لمشروبا مسكرا في حين تتقم على الصراصير، وعلى معيشته القذرة، فقد أكد لها الراوي حين أخبرته أن الرجال الإيرانيين لا يردون سوى امرأة خادمة وتحت تصرفهم، **«يؤكد لها أن في وسعي العيش في القذارة والجوع [...] وإذا ما تزوجنا [...] فلن يكون على أحد أن ينظف لأنني أقبل القذارة، والصراصير وجبال الصحون المتسخة»**[5] وترد عليه قائلة: **«قالت بنعومة أنت وسخ للغاية»**[6]، يجيب أن نشير هنا إلى السبب الذي جعل شوهره (الإيرانية) تختار الراوئي (المهاجر اللبناني) دون غيره. فالسبب الأول هنا أن دولة إيران كانت دولة دينية، وشوهره تحمل فكر الخميني السائد في إيران والذي انتقل إلى لبنان عن طريق حزب الله الذي يمثله

[1] - الرواية: ص 73.

[2] - الرواية: ص 71.

[3] - ثيودور رايك: سيكولوجية العلاقات الجنسية، ص 235.

[4] - الرواية: ص 71.

[5] - الرواية: ص 71.

[6] - الرواية: ص 72.

"حسن نصر الله" وهو حزب يدعو نفس الأفكار التي أتى بها الإمام الخميني، وما أردت القول أن فترة الشاه الذي كان يحكم إيران بقبضة من حديد، فحررة العقول وأعطى الحرية الدينية فليس من السهل أن يكون مجتمع يعيش حرية مطلقة في كل الممارسات أن يتقيد بمجموعة قوانين أو أوامر. لذلك لجأت شوهره إلى السارد اللبناني لأنها تنفر من كل ما هو إيراني، كذلك طبيعة الرجل لبناني متحررة لذلك تقول أنها ربما وجدت في الراوي متنفسا خاصة بعد تعرضها للاغتصاب.

ولا تتوقف رغبة الراوي في علاقاته مع النساء عند شوهره فقط، بل إنا رغبته في السيطرة وامتلاك أي امرأة يلتقيها **«ما إن أرى امرأة حتى تصبح أسناني أكثر دقة، وطولا، وحدة، يحدبوا ظهري وينبت جبيني هوائيين يتمايلان في الهواء، يلوحان بالحاجة إلى إثارة الانتباه، أريد أن أزحف تحت أقدام النسوة اللواتي ألتقيهن، وأتأمل من تحت قامتهن المنتصبة، معجبا برسوخ أقدامهن الدقيقة إلا أنني أشعر أيضا بالذهول ليس بالارتباك بالنفور حيال المشاعر القذرة من مكر ورغبة»**[1]. يلجأ الراوي إلى **المكر** بتحوله إلى صرصور يلبي رغبة جنسية **وإثارة الانتباه** لتلك اللواتي لا يعيرون أي أهمية لشخص مثله فقير وغريب عنهم، وبالأحرى تباعد شديد بينه وبينهم. وبتحوله يثبت لنفسه أولا قدرته على فعل ما لا يستطيع فعله الأشخاص الذين لا يستطيعون كشف المستور لتلك النسوة فرغبته في كشف ما لا يمكن أن يُرى لأيّ كان يراه غموض خلال زحفه تحت قامتهن ليخرج عن المألوف عند الإنسان بفعله الحيواني/ الصرصوري اللاأخلاقي ويدرك فيما بعد فعلته ويعلن **نفوره.**

كما يتيح له التحول بلبسه شخصية الصرصور تفادي المواقف المحرجة والصعبة وتجاوز كل ما يمكن أن يسبب له مشاكل اجتماعية أو نفسية مثل ما تعرض له في الشارع وهو متجه نحو بيت المعالجة حيث يقول: **«أخفت ورائها ونبتت لي ست أرجل أشبه بالأضلاع الخارجية، وجعلني الهيكل السميك الجديد أنسى المياه المتطايرة من السيارات**

[1] - الرواية: ص 13.

**المارة، لم يعد في وسعي أي من عناصر الطبيعة أن يوقفني الآن»[1].** في واقع الأمر هو إنسان يمشي في الشارع، ولما تمر عليه السيارات تتطاير معها ذلك الوحل أو الماء أو القذارة وتصيب جسمه، لكن في هذه اللحظة لبسته حالة الصرصور، وأصبح لا يهتم بالطبيعة وغيرها لأن لا يؤثر عليه هذا السلوك وهو على هيئته الصرصورية، مثلما ستؤثر به وهو في هيئته الإنسانية.

والإنسان بطبيعة الحال لما يتعرض لمثل هذه المواقف، فحتما ستكون ردة فعله غير مقبولة، وبلباسه قناع الصرصور يستطيع تجاوز هذا الموقف الدنيىء بواسطة (هيكله السميك). ويمكننا أيضا قراءتها من جهة ثانية باعتباره في مجتمع غريب عنه له قوانينه الخاصة، وتعاملات مغايرة حيث تحدث له أفعال في كندا لتهُيّج ردة فعله، ولو يتبع هذا الآخر ويسير وفق العقلية العربية المعروفة بعصبيتهم، فالقانون سيكون جائرا معه لأنه أجنبي عن ذلك، وتفاديا لذلك يلبس حالة الصرصور حتى لا يصدر منه ردة فعله توقعه فيما لا يحمد عقباه.

يعد العمل من أهم الأشياء الإيجابية في حياة الإنسان، وبه تتحقق ذاته ويطور الفرد شخصيته وبنائها مما يسهم في اندماجه مع المجتمع وتأسيس علاقات مع اللآخرين، كما أن للعمل: **«أهمية تعود على الفرد نفسه وعلى المجتمع، فالعمل أمر أساسي وضروري للفرد حيث يسهم في تطوير الذات ويحقق الاستقرار المادي ويوفر للإنسان قوت يومه ومتطلبات الحياة، ويكون الإنسان مكتفيا ذاتيا ولا يحتاج إلى الآخرين ويزيد من ثقة الإنسان بنفسه ويصون كرامته، كما يسهم في بناء العلاقات الاجتماعية والتواصل بين أفراد المجتمع ويحمي الفرد من ارتكاب الجرائم»[2].**

وتعد رحلة بحث الراوي عن عمل خطوة مهمة في حياته، باتجاهه نحو إحدى المطاعم في كندا ويقابل صاحب المطعم متحديا كل الصعاب بدءا من المعاملات السيئة

---

[1]- الرواية: ص 104.

[2]- منال شحادة: العمل حاجة وضرورة لتطوير الذات واكتشاف المواهب، جريدة الدستور، 30 أكتوبر 2019، 01:00 صباحا، متاح على الموقع: www.oldustour.com/articls/1110441

التي تواجهه خاصة المتعلقة بمظهره، إلا أنه كانت له الجرأة في التقدم والسعي وراء إيجاد عمل يستقيم به حياته فيقول مخاطبا صاحب المطعم **«سيدي أنا أبحث عن عمل»**[1]، حتى الطريقة التي تحدث بها تؤهله لكسب القبول من صاحب المطعم، كما يوحي باستعداد تام للعمل وأنه كما أخبر معالجته **: «أشعر أنني سأحب العمل في ذلك المكان»**[2]، فالشعور بالحب حيال عمل ما يتيح لصاحبه فرصة الاندماج فيه، كما يساهم في التقليل من التأثيرات السلبية الناتجة عن البطالة والاحتياج الذي أثقل عليه وزاده عبء، وبالعمل يمكنه الحصول على المال الذي هو بأمس الحاجة له لسد قوته وكل ما يتيح له حياة أفضل على الأقل ولو بنسبة قليلة.

كما يعد اختياره لمكان العمل صائبا، لأن في المطعم سيحصل على طعامه وإن كان ذلك من فضلات البشر مثلما عبر عنه بقوله: **«ذلك المكان الذي يتم فيه إطعام البشر والحشرات بالتساوي»**[3]، يحيل هذا القول إلى وفرة الطعام في المطعم، لدرجة أن الذي يأكلونه الزبائن يتساوى مع الطعام الباقي وبالطبع ما يتبقى منه إما يستهلكه الخدم أو يذهب للحيوانات، وباعتباره حشرة /صرصور سيكون له النصيب من ذلك.

كما كان للمعالجة النفسية في حثها للراوي على إيجاد عمل قائلة**: «يجب أن تحصل على عمل»**[4] دورا فعالا في بعث روح المسؤولية حتى أنها: **«ابتهجت المعالجة النفسية عندما أخبرتها بأنني سعيت إلى وظيفة في مطعم [...] هذا خبرا رائع حقا، خطوة مهمة منك لمعاودة الاندماج في المجتمع»**[5]، وغايتها الأولى هي النجاح في مساهمتها باندماجه في المجتمع، وبالفعل هنا نستطيع القول أن هذا أول نجاح للمعالجة، ونجاح للراوي في إثباته لوجوده، والمشاركة الفعلية فيه، ذلك أن**: «المشاركة في الحياة العامة إثبات للذات لأنك**

---

[1]- الرواية: ص 90.

[2]- الرواية: ص 100.

[3]- الرواية: ص 266.

[4]- الرواية: ص 104.

[5]- الرواية: ص 100.

**تشعر حينها أنك يقوم ببذل مجهود وتحقيق هدف في الحياة ليس مجرد أنك تعيش فقط، بل تشارك مع من حولك في كل شيء».**[1]

يلتقي الراوي في هذا المكان بابنه صاحب المطعم "**سحر**" وهي تبلغ من العمر "السادس عشر" هي الأخرى حاول إطاحتها والتلاعب بمشاعرها لتلبية رغباته الجنسية لكن بمحض إرادتها إذ يقول: **«لا أريد أن ألمسك، أريد فقط أن أشاهدك تداعبين نفسك».**[2]

وقد أصبحت بمثابة صديقته، حتى أنها تذهب له لمكان سكنه **«دخلت شقتي»**[3]، إلا أنها تتقبله أحيانا وتتجاهله أحيانا أخرى، وحين تظهر تجاهلها يقابلها الراوي بموقف يثبت به قوته ووجوده، فمثلا حين **«خرجت ابنة صاحب المطعم وقفت حيث تكون رؤية ممكنة، عند طرف الدرج، وبينما هي تمر وتتجاهلني، همست: الجميع يفعلون ذلك»**[4].

من خلال تجاهلها له استطاع أن يلفت انتباهها بما قاله لها، واصفا تجاهلها بأنه عادة في الجميع، ومن هنا تمكن فرض ذاته في الموقف واستنطقها حيث أرادت أن تعرف ما الذي يفعله كل الناس؟ **«توقفت، استدارت فجأة، نظرت إلي، وقالت يفعلون ماذا؟»**[5]، ويجيب: **«تعرفين الحصول على فكرة سعيدة بين وقت وآخر ليس ثمة ما ينبغي الخجل منه أو إخفائه، إنها الطبيعة [...]**

**نعم لا ينبغي لأحد أبدا أن يخجل من ذلك، الجميع يقولون لنا إنه سيء، لكنه أمرا كله جيد».**[6] ويتبين من خلال هذا الحوار جهل "سحر" لما كان يرمي له الخادم الراوي، وفي نفس الوقت يمكن للوصول إلى الحديث معها، وذلك هو المراد الذي يبتغيه، وباعتبارها أيضا من الطبقة الراقية، لأنها ابنة صاحب المطعم الذي يشتغل عنده الراوي، لذلك أراد أن يكسر ذلك التعالي عليه من قبل سحر، ويقنعها بأن كل ما كان يدور في تلك البرهة من الزمن ما

---

[1] - لماذا المشاركة في الحياة العامة إثبات الذات؟ عن موقع http://www.kingjawab.com

[2] - الرواية: ص 228.

[3] - المصدر نفسه، ص 228.

[4] - الرواية: ص 199.

[5] - المصدر نفسه، ص 199.

[6] - المصدر نفسه، ص 199.

هو إلا شيء طبيعي، غير أنها ردت له بتهديدها له قائلة: **«لو أخبرت أبي بأنك تراقبني فسيقتلك»**[1]، ويرد بدوره قائلا: **«أريد أن أرى، أرى ليس إلا... ثم يمكنك أن تخبريه كل ما تريدينه، فأنا على استعداد للقتل وعلى استعداد للموت»**[2]، إذ أراد أن يخبرها أن قصده كان النظر ليس إلا، وكأنه رفع التحدي معلنا بذلك أنه مقتنعا بما فعل، وليحدث ما يحدث، وتخبر أبوها بما تريد. إنها جرأة كبيرة وتحدّ عظيم، كذلك أنه يعرف أشد المعرفة ما سيحدث له إن علم صاحب المطعم، والخطر الذي يهدد عمله، إلا أنه كان الرابح في إثبات شخصه، فلا شيء يخيفه أو يهدده، وإن وصل الأمر حد الموت، ودليل ذلك حينما قالت له: **«ليس هنا، وركضت صاعدة للدرج»**[3]، وهذا يبين انهزامها أمامه، وبهذا قد أثبت قوته على السيطرة على المواقف مع الآخرين كما أثبت بموقفه تقديره لذاته واستقلالتها، إذ **«يعتبر مفهوم تقدير الذات من المفاهيم العامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في فهم الشخصية والسلوك الإنساني، فشعور الفرد بالتقدير والاعتبار النابع من اتجاهه نحو نفسه غالبا ما يدعم عنده فرص النجاح في الحياة ويوجه نشاطه نحو تحقيق الأهداف»**[4].

ويعتبر الاعتراف من الخطوات الأولى التي يقدمها الفرد في مشكلاته وتخطي العقبات، ومواكبة سيرورة الحياة، فحين يعترف الراوي عن موقفه مع ربّ عمله. فهو يثبت قوة شخصيته وفطنته فيقول: **«سأعترف بذلك إذا شئتم، إلا أنني تغذيت جيدا اليوم على الأقل، فقد حضر لي الطباخ الليلة طبقا قبل أن يغادر [...]، وجاء صاحب المطعم من ثم أشار إليه ونظر إلى، جلست إلى الطاولة الصغيرة بجوار المطبخ وأكلت، محاولا حقيقة ألا أظهر مدى استمتاعي بالمطعم [...] فإذا شعر رب عملي بتعويلي على وجبات طعامه، فقد يقطع المال من مرتبي، ويطلب إلى القيام بالمزيد من العمل ويصدر إلى المزيد من الأوامر، ومن أن يمكن هكذا كله أن ينتهي...»**[5]. حينما يعترف الراوي بتلك المشاعر التي

---

[1]- الرواية: ص 199.

[2]- المصدر نفسه، ص 199.

[3]- الرواية: ص 200.

[4]- حمري صارة: علاقة تقدير الذات بالدافعية للإنجاز لدى تلامذة الثانوي، ص 5.

[5]- الرواية: ص 203.

كان يخفيها عن رب عمله حتى لا يقتص ثمن تلك الوجبة من مرتبه أو إضافة أعمال وساعات إضافية إليه.

هنا نرى في اعترافه قوة شخصيته، كما أن في إخفاءه إياها يبرر دهاءه في السيطرة على الوضع ومواصلة العمل، والضفر بوجبة أكل كما يشتهيها دون أن يشير أو يلفت نظر رب عمله.

إنه يجيد التعامل مع مثل هذه المواقف بذكاء وبطريقة يكون الربح فيها لصالحه، مثل ما دار بينه وبين معالجته حين بادرت بسؤالها: «**هل حملت سلاحا؟**

**- نعم، فعلت ذلك في وقت لاحق»**[1]، من خلال هذا الحوار وفي ذلك التساؤل المستفز الذي ألقت به الطبيبة إلى مريضا ما إن كان قد امتلك سلاحا، جاء رده ساخرا بقوله: **«قلت رافعا صوتي: أقول لك لو أنني امتلكت مسدسا هنا لما فتشت عن حبل وغصن.**

**لماذا لم تحصل على واحد؟**

**قلت رافعا صوتي:**

**- لا أعرف من أين أحصل على مسدس في هذه البلاد، ولا أملك أي مال! صمتت المعالجة النفسية، وأنا اعتكفت عن الكلام»**[2]، أي أنه لو امتلك مسدسا لكان قد اعتمده كوسيلة انتحارية دون اللجوء إلى الحبل وعم الصمت المكان، حيث فهم كل واحد الآخر على طريقته، وتداركت الموقف بقولها: **«تراجعت في النهاية وقالت: يجب أن تحصل على عمل وعندها يسعك أن تشتري واحدا، نهضت، فتحت الباب، وغادرت»**[3]، ومن هذا الموقف أعلن تجاهلها لها ولكلامها دون خوف مما ستدونه على تصرفاته.

وفي حديثنا عن محاولته الانتحارية نشير إلى أنها وسيلة لإثبات إنسانيته ووجوده حيث الموت بمنحه الحرية والراحة التي انعدم وجودها في الحياة: **«ربما كان على الفلاسفة**

---

[1]- الرواية: ص 103.

[2]- الرواية: ص ص 103-104.

[3]- الرواية: ص 104.

**حق في تعليمهم أن الانتحار هو الضمان الأخير والأسمى لحرية الإنسان، ألا نكون أحرارا في خلق حياتنا أو العالم الذي نعيش فيه ومع ذلك فنحن أحرار في التخلص من الحياة ومغادرة العالم»[1].**

في اعتقاد منهم أن هناك وجود أخر يتيح لهم حياة أخرى أفضل ودلالة الانتحار في رواية "**الصرصار**" كما ذكرت **رغدة شريم** أنها محاولة لإنهاء الحزن واليأس الذي يبدو غير محتمل له.[2] وبالموت تكون نهاية كل الآلام والمآسي المتراكمة، كما يعتبر قرار الانتحار قرار ذاتي لمغادرة الوجود، أحيانا يكون رسالة إنذار نحو من يحيطون بالشخص المنتحر أو من حاول الانتحار وأحيانا أخرى الهروب من وضعية معينة، عجز الفرد عن مواجهتها أو التكيف معها، لكن بين هذا وذلك فالنتيجة واحدة وهي الموت[3]، ولمواجهة ذلك العجز وإثبات كينونته وإبراز وجوده لجأ الراوي للانتحار باعتبار أنه الحل الوحيد لإحساس الآخرين بوجوده.

شخصية "**الصرصور**" غالبا ما تسعى إلى معالجة الأزمة الوجودية حيث يرى سارتر أن التجربة الوجودية **«تجربة المضي قدما نحو الموت، وبحسبانها تجربة عدم الشعور بالانسجام مع العالم، وكذلك التقزز الشامل إزاء الوجود الذي يفصح عن نفسه في صورة غثيان»[4].** إذ يندفع العنصر البشري إلى التدبر في المغزى من وجوده وفعل وجوده وحقيقته كذلك، وعلى هذا الطرح يعبر الراوي عن تجربته الوجودية قائلا: «**نعم أنا فقير، أنا آفة، بقة، أنا في أسفل الدرك، إلا أنني لا أزال موجودا، ثمة وجود وثمة عدم»[5]** بالرغم من وجوده في الحياة إلا أن هناك شيء مفقود منها وصل درجة العدم أي الموت، وفي محاولته الانتحارية يقول: **«لو أنني مت على ذلك الغصن في المنتزه لعشت اختبار الآخر، برغم أن**

---

[1] - Arendt , A (1968). Imperialism : Part Two Of The Oerigins Of Totalitarianism, Sam Diege : Harcourt Brace Company PP 113 114.

[2] - رغدة شريم: سيكولوجية المراهقة، دار المسيرة، عمان، ط1، 2009، ص 07.

[3] - طاوس وازي: ظاهرة الانتحار بين التغير الاجتماعي والتشخيص النفسي، دراسات فنية وتربوية (مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية)، عدد08، جوان 2012، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص 74.

[4] - جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، علم المعرفة، الكويت، 1984، ص 254.

[5] - الرواية: ص 153.

**ذلك كان يسعني أن في وسعي أن أرى وأشعر، وكان هذا لينقذني عائدا إلى الوجود، الأمر الذي سيلغى مفهوم العدم».**[1]

كما يمكن لمشاعر الذنب أن تسهم في الميول الانتحارية أيضا، فهو يشعر بالتقصير والذنب لأنه لم ينتقم لأخته التي قتلها زوجها، ولإحساسه بالمسؤولية أجهد نفسيته، لذلك كان الانتحار بمثابة أو يوقع الشخص عقابا على نفسه بسبب خطايا أو تصرفات سيئة ارتكبها ويحس بالذنب بسببها، فعندما لا يوقع عليه المجتمع أو العائلة أو حتى الأصحاب أي عقاب فإنه يختار أن يوقع العقاب على نفسه وغالبا ما يكون الانتحار هو العقاب الذي يفكر به الشخص[2]، وهنا قد يكون السلوك العدواني على النفس كوظيفة دفاعية لحماية الذات عن طريق خفض التوتر الناتج عن الإحباط.[3]

إن الوعي بالذات عنصر مهم للفرد، وبالرغم من أنها تعيش حالة تصدع إلا أنها مستميتة في البقاء وعدم الهروب ومن جهة أخرى لا يمثل استسلام الراوي في النهاية الكاملة، رتب خطة كما يراها إعادة بناء وترميم ذلك الحلم الذي استحال التحقيق في الواقع كما يعتبر تصدع ذات الكاتب في الرواية جعل الموت (الانتحار) نعمة أو نهاية سعيدة يطلبها الفرد أمام العنف الواقعي والمزري المتنامي والموحش.

وعلى ذكرنا للحلم، نشير إلى الأحلام التي ظلت ملازمة للراوي على مدى السرد الروائي، فالحلم كما فسره عالم النفس "**فرويد**" تفسيرا نفسيا مرده إلى جذور الحياة النفسية اللاواعية، إذ يلجأ الراوي إلى أمنيات يتخيلها أمامه أو أشياء أرادها ملكه استحالت التحقيق في واقعه فيقول: **«إلا أنني ما أردته فعلا هو كأس من الويسكي مع الثلج، وما أردته فعلا هو الجلوس في وسط البار محركا كأسي بالتناغم مع الموسيقى الهادئة، وربما أردت أيضا وجود خاتم كبير واسع من إبداعي وصدري يلمع تحت قميص أسود لماع، ومفاتيح سيارتي تتدلى من أداه يمكنها أن تفتح الأبواب [...] أردت سلسلة ذهبية حول عنقي**

---

[1]- الرواية: ص 157.

[2]- أحمد يحق الزق: علم النفس، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2006، ص 07.

[3]- حمري صارة: علاقة تقدير الذات بالدافعية للإنجاز لدى تلامذة الثانوي، ص 23.

**وامرأة أنيقة الملمح»**[1]، إنه يحلم بحياة مثل أولئك الكنديين الراقيين فحياتهم العادية والمألوفة ظلت بالنسبة له مجرد حلم.

إنه يعبر عن تلك الرغبات لعلها تثلج صدره وتريح نفسه، وفي تخيله للطعام يقول: **«أفخاذ الدجاج والبط المحشو [...] يكفي أن تتخيل بطة محشوة بالبرتقال»**[2]، وعلى حد تعبير فرويد عن الأحلام بأنها صارت تعبر عن ذات الشخص وليست غريبة عنه، إن الحلم يعتبر رغبات الإنسان اللاواعية، فهو إذا ذو معنى إنساني وشخصي.

وقد تعبر أكثر الأحلام عن رغبات مكبوتة من الأفضل أن تتابع مجراها اللاواعي ويكون الإنسان في حال يقظته خاضعا لرقابة هي مزيج من ضغوطات أخلاقية واجتماعية ودينية وقواعد سلوكية، تؤدي هذه الرقابة الضاغطة إلى كبت الرغبات التي تختفي دون أن تجد في الحقيقة وتنتظر واهنة في الرقابة لتعود فتظهر إلى مسرح الوقائع متنكرة وعلى درجة كبيرة من الرمزية، لذلك كانت الأحلام موضوعا يكشف لنا خفايا النفس وأعماقها اللاواعية.[3] إنه يلجأ إلى تلك الأحلام التي تتصارع مع ذاته للتغلب على مشاعر الجوع والاحتياج... والشعور بالإشباع في الحياة وكل ما أراده أن يعيشه، وبذلك تكون تلك التخيلات إشباعا لمكبوتاته، ووسيلة لإخراج رغباته.

ويلجأ إلى السرقات لتعويض الشعور بالنقص وإثبات الذات، وحب التملك، حيث يسرق الفرد عندما يشعر بأنه في حاجة إلى إشباع بعض حاجاته النفسية التي يتصور أنها لا تأتي إلا بتلبية رغبه من امتلاك المال أو الطعام... الخ، والذي لا يمكن الحصول عليه إلا بالسرقة مثلما قام به في منزل "**العجوز**" وهي جارته التي تقيم في نفس عمارته، وتعيش وحيدة، سرق من بيتها صندوق وبداخله وجد **« زوجا من الجوارب الملائمة [...] أخذت مسلوباتي وزحفت صعودا، وعلى الفسحة بين الطابقين، جلست وخلعت حذائي وجواربي وحركت أصابع قدمي، تأكدت من عدم ملامسة رجلي الحافيتين الباطون، ولبست بسرعة**

[1]- الرواية: ص ص 88 89.

[2]- الرواية: ص 77.

[3]- إتيان عبد: الوعي اللاوعي، لبنان، 29-05-2021، 19:09، عن موقع www.Philomalek-yolsite.com

**الجوربين الصوفيين واحتذيت الجزمة، ثم ركضت نازلا وخرجت من المبنى، وسيرت من فوق الأرض وقشرتها البيضاء المصقعة، وأنا أشعر بالدفء والاستقرار»[1].**

لقد لجأ إلى السرقة لأنه محروم من أبسط المتطلبات الضرورية للمعيشة وقد ساعده ذلك الجورب الذي سرقه من تجاوز طبقات الجليد دون الإحساس ببرودته، ومنحه ذاك الدفء والاستقرار الذي يفتقده، كما يدل خلعه للحذاء القديم والمهتري إلى الانتقال من حالته التعيسة والمثيرة للشفقة إلى حالة الاستقرار والفرح لدرجة أنه كان قبل ارتدائه للجوارب ملتبس لشخصيته الصرصورية ودليل ذلك فعل "**زحفت**" وبعد شعوره بتحقيق رغبته، والحصول على مبتغاه عاد لهيئته البشرية في قوله: "**ركضت**" وقد تختلف الطريقة التي يقدمها الفرد في الحصول حاجته **«أو المنهج الذي يسلكه الأفراد لتحقيق ذواتهم حسب الثقافة التي تلقاها وحسب العادات والتقاليد أو البيئة أو الظروف التي تحيط به، فالفرد قد يلجأ إلى القتل والسطو والسلب وقطع الطريق والنهب والتخريب»[2].**

كما يتجه إلى السرقة لتحقيق مكاسب شخصية أو للتحدي أو للانتقام، أو بدافع التمرد، فمنهم يسرقون ببساطة لقوة رغبتهم التي لا يستطيعون مقاومتها، والسرقة لها دوافعها النفسية التي تكمن أساسا في حب التملك أو في الرغبة من الانتقام من الغير أو تهدف إلى إشباع رغبة أو ميل لدى صاحبها[3]، فغالبا ما يلجا الراوي إلى السرقة رغبة في الحصول على حاجاته وكذلك للتفاخر بما يحصل عليه وللانتقام أيضا، كما فعل مع الزوجين الكنديين الذين كان يراقبهم في المطعم وكذا في منزلهما والتطلع للرخاء والرقي الذي يعيشون فيه، فهو أحس حينها بالاختلاف والفارق والوضع بينه وبينهما، وكذلك إحساسه بأنهما لم يعيراه أي اهتمام أو حتى ابتسامة، ولفت الانتباه بوجوده، حيث راح يعبر عن مقته الدفين بفعل السرقة فيقول: **«سرقت من منزل الزوجين، محبس الزوج الذهبي، وسجائره، وإناء رومانيا، وربطة عنقه وحذائه، أخذت وقتي التي لأنقي بعناية الثياب التي تتناسب مع بشرتي الداكنة"**

---

[1]- الرواية: ص 318.

[2]- هايل علي المذابي: معركة إثبات الذات وتحقيق الوجود، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 20 أغسطس 2009، عن موقع WWW.DIWAMAHARAP.COM

[3]- سليمان علي: دور الأسرة في تربية الأبناء، وحدة ثقافة الطفل بشركة سفير، 1994، ص 5.

**وما إذ أنهيت التحقق من نفسي في المرآة حتى انسللت من تحت باب المرأب وزحفت ملتصقا بالجدار»**[1]، فاقتحامه ودخوله لمنازل الناس، يمنحه فرصة تجاوز تهميشه، كما يفرض لنفسه مكانة مهيمنة في حياتهم التي لم يستطيع المشاركة فيها معهم، والعناصر التي يسرقها تتعلق تحديدا بالشخصية الراقية كربطة العنق تدل على أن صاحبها يحتل مكانة مهمة بلباسه، وبسرقتها يصبح وكأنه هو من يفترض ارتدائها، وكأن الراوي يريد إظهار نفسه بأنه يحتل مكانة مهيمنة في المجتمع خاصة في ظل التهميش الذي تلقاه من قبل هؤلاء الغربيين حتى أنه وفي بعض الأحيان يتعمد لترك أثرا حتى يدرك الآخرين وجوده، ويصرح بفعله أيضا مثل ما صرح لمعالجته حين سألته: «ألا تزال لديك مشاعر بالانسلال والاختفاء؟.

نعم دكتورة جنفييف، أنا ماهر في الانسلال تحت أي شيء، أخبرتك أن في وسعي الدخول إلى منزل أي كان [...].

- هل دخلت منزل أحد ما هنا في كندا؟

- نعم.

- هل سرقت شيئا؟

- نعم .

- هل قمت بأي عملية سطو؟

- نعم».[2]

يحيل الاعتراف هنا إلى قوة شخصية الراوي بالرغم من أن فعل السرقة يعتبره يعتبر إجراما وقد يؤدي به إلى المعاقبة قانونيا خاصة أنه في مجتمع غريب عنه، إنه لما الصعب اعتراف المرء بمخالفات ارتكبها بل يحاول دائما التملص خاصة من التهم التي قد تنصب عليه، كما أن شخصيه الصرصور هنا تمنحه الحرية، وممارسة أي فعل دون ردع أو

[1]- الرواية: ص 117.

[2]- الرواية: ص 135.

مخاوف ولا شيء يقف أمامه، وأمام تنفيذ مهامه، كما أن الصرصار لديه قوة رهيبة في الانسلال نحو كل شيء، فحالته الصرصورية تتيح له الهروب من كل قوة تقف أمامه، لذلك تعتبر لبسه لشخصية الصرصور مصدر قوته وثقته، وعصاه السحري ينفذ به مهامه وينجو به إن استدعي الأمر ذلك.

حياة الراوي "**المهاجر**" مليئة بالمغامرات، ومرتبطة بعدة جرائم كالسرقة والجنس والمخدرات... فهو أيضا "صرصور" تهيمن عليه فكرة كون الصرصور حشرة أقل شأنا، يدخل بيوت الآخرين من خلال شقوق الأبواب أو المصارف الصحية وأعمدة الصرف الصحي، ليكشف أسرار يجهلها عن حياة الغربيين ومثال ذلك حينما دخل منزل جنفييف فيقول: **«انسللت من باب مرأب البناية، ومضيت إلى الطابق السفلي، وزحفت على طول الأنابيب، فقفزت من بالوعة المطبخ، أصلحت شعري وثيابي ونفسي، وسرت مباشرة إلى غرفه النوم»**[1]، وفوق سريرها **« زحفت صاعدا إليه وشممت وسادتها واستحممت بعطر شراشيفها، ووجدت بقعة لا تزال دافئة قستها...»**[2].

هنا يمنحه تغير الشخصية من حالة بشرية إلى حالة صرصورية فرصة الانسلال والدخول إلى منزل معالجته، ويزحف على سرير نومها ويشم ملابسها وينظر إلى صورها العارية... بغرض تملك علاقة حميمية، ومع تقدم المشهد يجعل الصرصور نفسه هو صاحب المنزل وسيده يبدأ بالإشارة إلى نفسه بصيغة الغائب **«نهض الغريب وصار إلى المطعم، فتح الثلاجة، إنها ملئ بالطعام، جبنة فرنسية جامبون، وبيض. صنع لنفسه بعض الخبز المحمص، ووضع عليه بعض الجمبون وشرائح الطعام...»**[3]، فقد سمح له شكله الصرصوري أيضا الحصول على أشهى طبقات الطعام، وأن يقدم نفسه في حياة الآخر الغربي، حيث أنه يعطينا صورة يجهلها الفرد العربي عن طريقة عيش الإنسان الغربي اعتقادا منه أنهم أناس مثاليون ويعيشون ذروة الرقي، كما يحيل هذا المقطع السردي عن

[1]- الرواية: ص 106.

[2]- المصدر نفسه، ص 106.

[3]- الرواية: ص 107.

رغبة الراوي في البقاء والوجود في حياة الآخرين رغما عنهم، ذلك بسبب اعتباره مهاجرا عربيا غير مرحب به معهم، حتى أنه تساءل عن ما الذي سيحدث إن: **«بقيت هنا في سريرها؟ ماذا لو جاءت إلى المنزل ورأت هذا الغريب المراعي للغير الذي يرتب سريرها وهي تسألني إذا كنت غائبا، أو إذا كان نهاري جيدا، طابعة قبلة على جبيني، آملة أن تستيقظ وآخذها بين ذراعي، وأستمع إلى قصتها على الرجل الذي أمسك به في المتنزه، مع جبل على شجرة بحثا عن غصن الميتين في يوم بارد...»**[1].

عند دخوله إلى المنزل المعالجة اصطدم بواقع معيشي راقي وتمنى في لحظة أن كان هو صاحب المنزل بما يحتويه حتى المعالجة في حد ذاتها متمتعا بها وبما ترويه له من معاناة ذلك الغريب المريض الذي تعالجه وهنا يتبين مدى كبته وأسفه عن ما يعانيه وتلك الفوارق في الحياة البشرية وكيف كان سوء حظ دون الآخرون.

وحين يقول عن نفسه: **«ترك إصبع الحمرة الذي سرقه مفتوحا وأحمر، على طاولة الطعام، أخذ الخفين، وغادر نزولا عبر المصرف»**[2]، هنا يتبين أنه يترك أثرا لما يسرقه حتى يدرك الآخر وجوده، وينطلق بعدها مغادرا عبر الصرف الصحي، وهي قوة خيالية ومذهلة يمنحها الراوي لشكله الصرصوري حتى يثبت وجوده ويحقق رغباته.

ولا يتوقف اقتحامه للمنازل سوى عند الغربيين، فالراوي يدخل منزل صديقه الإيراني "رضا" وها هو **«الآن يفتش غرفة رضا بحثا عن مال، طعام، حشيشة، كوكايين... أي شيء يمكنني أن أحصل عليه من ابن الحرام هذا»**[3]، فهو لا يمتنع عن دخول منازل حتى المغتربون منه إذا اقتضى الأمر لأن يلبي رغباته.

ولعل الخمر والمخدرات هي المفر الوحيد لهؤلاء المهاجرين، الذين ضاقت بهم سبل الحياة، فإنه غالبا ما يكون كذلك مّيالا للتحرر، فكان حضور الخمر في الرواية فضاء حرا

---

[1]- الرواية: ص 106.

[2]- الرواية: ص 109.

[3]- الرواية: ص29.

يتيح لهم الحرية والراحة والنسيان، كما يعتبر نوعا من الانتقام الداخلي من قيود المجتمع والواقع المرير.

نعلم أن تناول المخدرات وشرب النبيذ حتى يفقد الإنسان وعيه هي علامة دالة على إفلاس الذات وإحالتها لنا على تأمل حقيقة الهوية الفاسدة، إلا أن في رواية **"الصرصار"** وسيطرة الخمر على بعض أجزائها، وبين شخصياتها المهاجرة دلالة على المقاومة للذات، وتعبيرا عن مقتن دفين للواقع، وكذا مواجهة الظروف الاجتماعية القاهرة والظروف المناخية، فحين يقول: «**فكرت في أن سيجارة حشيشة ربما أدخلت الدفء إلى عظامي، أو خذرت دماغي على الأقل بما يكفي حتى لا أشعر ببؤسي وبالبرد**»[1]، فهو يشكل نوعا من التملّص من قساوة المناخ والحالة النفسية الصعبة التي يمر بها.

وبالرغم من كل هذه القساوة التي يعيشها هؤلاء المهاجرين، إلا أن كبريائهم تخفي عوزهم، وهو ما شكل انطباعا لدى الراوي وجعله ينتقد سلوكهم ويصفهم بالحيوانات قائلا: «**توقفت كالعادة عند مقهى أرتيستا [...] عندما يشمون رائحتي، يختفون، وأنا لا أزال أشكك في سبب ظهوري هناك، بالرغم من أنني لست من المرحب بهم، فإن اختياري الأماكن غير المرحبة، باتت عادة لديّ. أجد الأمر ساحرا: تشوشات اللاجئين وشكاويهم، وما يسليني هو كبرياؤهم المعلن برغم عوزهم [...] يا للكلاب الضائعة !**»[2] تجمع هذه المقهى جُل المهاجرين من مختلف الجنسيات، وبالرغم من مشاركتهم جميعا في هموم واحدة إلا أن الراوي يحسّ بأنه غير مرحب به حتى بين هؤلاء. وعندما يكون الإنسان غير مرحب به في مكان ما، ويصر على معاودة تلك الأمكنة لاكتشاف خفاياها وكل ما يدور بها. حينها يأخذ لنفسه ملاحظات تجعل منه أكثر شأًنا من هؤلاء الذين لا يرغبون في تواجده، وفي احتقار آخر للطريقة التي: «**يمسك بها هؤلاء النباتيون الشاحبو الوجوه بملاعقهم الصغيرة،مذلّلين أنفسهم [...] نعلم جميعا أن جلوسهم على مقربة من الأرض، ليس إلا ممرا آخر في حياتهم القصيرة فسوف يحصلون في النهاية على ملاعق أكبر، ويحفرون**

[1] - الرواية: ص 32.

[2] - الرواية: ص 185.

**الأرض من أجل ميراث آبائهم وأمهاتهم. إلا أنني أنا! أنا وأمثالي من سنأكل فضلات الطبيعة تحت الأشجار المائتة. أنا! أنا وأمثالي الذين سننتظر أن تُهزَّ الريح الأغصان لتسقط لنا الفاكهة»**[1]، إنّه يرى نفسه أفضل حال وأرقى من تصرفات أولئك النباتيون وطريقة أكلهم التي أثارت اشمئزازه، وكان ردُّه بأنهم ليسوا إلا «**قذارة، ريائيون، ممثلون على مسرح إغريقي! سيسقط هؤلاء البوذيون في نهاية الأمر**»[2].

وفي محاولة فهم حياة الانجليز «**لم أتمكن قط من فهم هؤلاء الانجليز، ولم أثق قط بتنكّرهم. بعضهم من أبناء الأغنياء وبناتهم. الأغنياء جدا! يعيشون في منازل كيبيكية قديمة رائعة، يشتكون في شأن المال، ويعملون في وظائف صغيرة. لم أفهم قط آبائهم ولماذا يمنعون المال عنهم**»[3]، ففي عملية البحث هذه يتوضح لنا أنه حاول البحث عن ذاته بينهم. إذ يريد أن يجد له مكانا بينهم للتعايش معهم، إن الرغبة الدائمة والملّحة على الإنسان هي رغبة الوجود، وكل مغامرات الإنسان الطويلة ليس في أقصى غاياتها إلا طريقا لتحقيق وجوده وإثبات ذاته ومن ثم لإدراك معنى هذا الوجود[4].

وبذلك يؤكد اختياره **للصرصور** على أنه قريب من الأرض، وهو أحد الناجين من المصائب والمصاعب، فهو يخترق خصوصيّة الآخر بكل سهولة ويطلعنا على كل تفاصيل حياتهم، كما يستطيع متابعة تحركات العالم من حوله، فلم يعد بذلك هوالمراقَب بل المراقِب. كما يمنحه شكله الآخر "**الصرصوري**" حركة تحت الأرض (في الأسفل) وذلك لينأى عن الحياة القاسية وكذا "القذارة" البشرية التي يعتبرها مصدر معاناته.

إنّ ثقة الفرد بنفسه وعدم الاتكال على الآخرين والاعتماد على النفس يعني تحقيق الاستقلالية في اتخاذ القرارات وتقرير المصير، وكما يذهب "**إيميل جانييت**" إلى القول بأن: «**تأكيد الذات يعني أن يتخذ الفرد موقف يحافظ من خلاله على حقوقه دون الاعتداء على**

---

[1]- الرواية: ص ص 34- 35.

[2]- الرواية: ص 35.

[3]- الرواية: ص ص 286- 287.

[4]- هايل علي المذابي: معركة إثبات الذات وتحقيق الوجود.

**حقوق الآخرين، بحيث يتصرف بطريقة ايجابية على الرغم من وجهات النظر المعارضة»**[1] وبهذا يحقق الفرد استقلاليته كما ذكر الراوي أن عليه **«أنْ أصبح مواطنا صالحا وأفكر في وسائل للتحصيل ديوني وزيادة ثروتي سيشكل ذلك بداية جديدة»**[2] وبهذه الخطوة التي يتخذها الراوي يستطيع تحقيق استقلاليته الفردية وبالتالي تقدير الذات، ذلك أن اعتماد المرء على نفسه وعدم الاعتماد على الآخرين، يصبح أكثر استقلالية، إذ يحدد أهدافه وطموحاته. كما أن تقدير الذات يحفز المرء إيجابيا ويلغي كل ما يمكن أن يحصل عليه من تقدير خارجي للآخرين...، ويعتبر شعور الفرد في الاحترام والثقة بالنفس، وتنمية قدرته الذاتية يكون خطوة أولى نحو تحقيق الذاتية الفردية. فحينما يصرح الراوي قائلا: «**حلّ علي شعور نادر بالانجاز وباحترام الذات، أكدت لنفسي أن رجلا صالحا مثلي نظيف، يعمل بكد لا يُحتمل أنْ يُترك ليحترق في ذلك اليوم الأخير، أو يخضع لحكم الصراصير في العالم الذي سيأتي**»[3]. إنّ احترام الذات الذي يشعر به البطل يفسّر تقييمه الايجابي والبّناء للذات. كما يفسر تقّبله لإنسانيته ودورها في الوجود. وهذا ما يفسر قول "**ماسلو**" «**إن تحقيق الذات هو أن يكون الفرد اتجاها واقعيا وأن يتقبل نفسه والآخرين والعالم الخارجي، أن يتمركز حول المشاكل بدلا من تمركزه حول نفسه، وأن يتسم بالاستقلال الذاتي عن الآخرين**»[4].

وبهذا نستطيع القول أن الإنسان عندما يكون ايجابيا فهو بهذا يحقق ارتياح نفسي ويضع لنفسه مكانة مرموقة داخل المجتمع، والأكثر من ذلك كله أن يكتشف الإنسان الجوانب السلبية فيه ويحاول تقويمها وتجنبها.

وبعودته إلى المنزل حشرة الصراصير التي تعيش معه نفسها مختبئة للنجاة بحياتها، إذ يعلن الحرب عنها واصفا إياها "**بالغزاة**" فيقول: «**دخلتُ مطبخي. اختبأت الصراصير**

1- حمري صارة: علاقة تقدير الذات بالدافعية للإنجاز لدى تلامذة الثانوية، ص 14.

2- الرواية: ص 86.

3- الرواية: ص ص 61- 62.

4- حمري صارة: علاقة تقدير الذات بالدافعية للإنجاز لدى تلامذة الثانوية، ص 13.

**للنجاة بحياتها، خرجت إلى الحمام، بولت، وعدت إلى المطبخ وبيدي صحيفة هاجمة الغزاة على رؤوسها بالأخبار والعناوين».**[1]

وفي وصفه إلى تلك الصراصير بـ "**الغزاة**" ويعلن "**الحرب**" عنها بمهاجمته لها كان يرفض أن يكون تحت تهديد تطفّلها ولأنها تذكّره بواقعه المرير وحياة الصراصير القذرة كان ولابد له من رفع التحدي حتى يتجاوز تلك اللحظة التي تؤرقه، حيث كان مسيطرا على الوضع بفرض وجوده وتحقيق ذاته. وكما يرى "**أدلر**": «**أن تحقيق الذات يعني السعي وراء تحقيق التفوق والأفضلية والكمال التام**»[2]. أراد الراوي تحقيقتفوقّ ه أمام الصراصير وخاصة حينما رمقت عيناه "**صرصـ االً**رضخما فكان (الانتقال من لحظة التحدي إلى لحظة الذهول) حيث كان هذا الصرصار أكبر حجما وسرع مناورة وأجمل بتلك الألوان الزاهية، يقول عنه: «**تبينت واحدا معين ذا خطوط زاهية الألوان أشبه بصرصار أهمق، وهو كبير إلى حد ما وأسرع من بقية السرب، انزلق حتى أنه كاد ينساب أكثر مما هو يركض فوق السطح. برع في مناورته وهو واثق من نفسه، وعند حد ما واجهني، وقف هناك، محرك هوائياته في اتجاه أشبه بلاقط تلفزيوني على سطح في يوم عاصف**»[3]. وهذا ما جعله يقف مذهولا. إلا أنه واصل في فرض وجوده برفضه "**هو**" الآخر أي أناه الأخرى وتحقيق استقلاليته وفي نفس الوقت فرض وجوده. ذلك لأن الإنسان في سعيه للبحث عن ذاته وتحقيقها وفي الوقت نفسه يسعى إلى تحقيق وجوده. ومن هنا جاءت رؤية "**مارتن هيدجر**" بأن الإنسان لا يمكن أن يحقق وجوده إلا حين يحقق ذاته «**إن عليا أن أكون موجودا، وعليا أن أحقق ذاتي**»[4]. رفضه لجزئه الأخر إرادة منه للتخلص من ذلك الصرصور "**الأمهق**" فرفع «**الصحيفة لأضربه، اختفى، نظرت تحت المجلى وشاهدت نهاية خطه الأبيض الأخير يرغّ في قلب**

---

[1] - الرواية: ص 266.

[2] - إبراهيم أحمد أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعارف، القاهرة، 1997، ص 84.

[3] - الرواية: ص 226.

[4] - عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص ص 602- 603.

**المصرف»**[1]، فبالرغم من تمتعه بتلك المواصفات، إلا أنه باختفاء ذلك المميز أثبت انتصار جزئه البشري، وبهذا استطاع التخلص مما كان يؤرقه، وشرع بغسل «**الأطباق ودفنت الجثث، رتبت سريري، طويت أطراف الشراشف مثلما يطوى العلم في احتفال بالجنود الموتى [...] نظفت المرحاض والمجلى، أقفلت النافذة، ثم استحممت، وارتديت ملابسي، وفتحت النافذة من جديد**»[2].

ويعد هذا السلوك الجيد عنوان التقدم؛ إذ تعتبر النظافة من السلوكات الحميدة التي ينعكس تأثيرها بشكل مباشر على حياة الفرد، كما تعتبر إحدى المقومات التي تعزز الثقة بالنفس، وإعجابه بالنفس وتمنحه شعورا قويا بالحيوية والنشاط، كما أن النظافة ترفع قيمة احترام الفرد لنفسه والآخرين له، كما تحميه من أن يصاب بالاكتئاب والتوتر، فالنظافة تنعش الجسد والنفس والعقل وكل ما يرتبط بها من سلوكات أخرى كالترتيب وتجديد كل ما حوله وتغير ما اعتاد عليه، يلعب دورا ليس بالهين في الشعور الإنسان بشخصيته ويتخلص من تلك السلبية إلى الايجابية...

ويواصل المحادثة بينه وبين الصرصار الضخم قائلا عنه: «**قال الكائن القذر الواقف إلى بابي وهو يميل برأسه في الاتجاهين: « لكن يا mon cher (عزيزي)» انتهى العالم من منظوري منذ فترة طويلة. أنت لم تشارك فيه قط. أنظر إلى نفسك، دائما الهروب، والانزلاق، وتشعر بأنك عالق في كل ما تقوم به**»[3]، ففي اتهامه له بالهروب والانزلاق وعلوقه في كل ما يقوم به، كان رده عليه بكل ثقة بالنفس. ويبرر ذلك الاتهام بأنه رفض قاطع للتبّعية وأكد ذلك بأنه سّيد القرار في كل شيء.

وجاء رد الصرصار قائلا: «**نعم، نعم، لأنك اعتقدت بعنجهيتك البالغة، أنك تنتمي إلى ما هو أفضل وأسمى، أنت ما أسميه عقابا، يعيش عند حدود القتل، ينتظر أن تتم**

[1]- الرواية: ص 226.

[2]- المصدر نفسه، ص 226.

[3]- الرواية: ص 255.

**عملية القتل، لكنه لا يمتلك أبدا الجرأة على إجراء بنفسه»**[1]. وفي رده ذلك يصف ذاك الصرصور بأنه يعتقد نفسه هو الأرقى منه شأنا، لكنه في واقع الأمر يعيش عند حدود القتل وبهذا أراد أن يجرده من إنسانيته، لذلك كان الرد من الجزء الإنساني منه محتقرا إياه وناقما عليه فيقول: «**أجبت وأنا ألوح بحذائي في وجهه: وكيف لصرصار مثلك أن يحكم؟ وتختبئ وتقضم البقايا والفضلات لا يخيفني حجمك ولا مظهرك المريع**».[2]

ويواصل الراوي بكل ثقة تهجّمه على الصرصار برمي «**خفي في وجه الكائن. النعال تجعلك تقشعرين أيتها الحشرة! ها ها ها، لا يهم كم يكبر حجمك، فأنت ستزحفين دائما أيتها الحشرة، تزحفين!**»[3].

هذا وتتواصل المحادثة بينهما، وكل منهما يحاول إثبات أنه الأفضل وفي نهاية الحوار أثبت **الجزء البشري** منه انتصار. حيث قال صارخا: «**أنا، على الأقل، لا أخاف النعال الخابطة، ولا صوت الأرض عندما ترتج تحت وقع جزمات الرجال السائرين. أنا أتمتع على الأقل بشجاعة الرفض والمواجهة**»[4]. وهنا أراد أن يبين له بأنه مرتاح البال ويرفض أن يوصف بالقاتل.

وتعتبر الشجاعة مقياس للثبات في وجه الأحداث والقدرة على المواجهة أو الرفض وكذا الجرأة في الفعل أو القول واتخاذ القرارات رغم كل الظروف والاحباطات المحيطة به. والشجاعة من الصفات التي لا تأتي مجانا ولكنها تحتاج من المرء بذل جهده ومواجهة مخاوفه للحصول عليها، وعندما يتمكن المرء من وصف نفسه بالشجاعة. إنه يقول لنفسه وللآخرين بأنه على استعداد لمواجهة مخاوفه في سبيل تحقيق ذاته، والوصول للأهداف التي يسعى إليها ومواجهة مصائرهم وأقداره، ورفض خيباته...

---

[1]- الرواية: ص 256.

[2]- المصدر نفسه، ص 256.

[3]- الرواية: ص 257.

[4]- الرواية: ص 257.

وكما ذكر **لطفي عبد الباسط** أن استراتيجيات المواجهة هي مجموعة من النشاطات أو الاستراتيجيات الدينامية -سلوكية أو معرفية، يسعى من خلالها الفرد لمواجهة الموقف الضاغط أو لحل المشكلة أو تحقيق التوتر الانفعالي المترتب عليها.[1]

جاء الانفصال في شخصية البطل في الرواية إلى حشرة "**صرصار**" كحدث مفصلي في الرواية حيث يمنحه قوة خارقة وسحرية، وربما جاء هذا الانفصال نقدا للأوضاع المزرية والقوانين المجحفة التي لقاها المهاجرين في بلاد الغرب، والتي حرمتهم من إنسانيتهم ومن أبسط حقوقهم في العيش.

و"**الصرصار**" كحشرة تتميز بسرعة الزحف ولها قوة خيالية في الهروب من كل شيء كما أنه رمز للمخلوقات البدائية التي تعيش في درك المجتمع السفلي، وذلك مثل العالم السفلي (عالم الحشرات) مكانا يلجا إليه حينما تضيق به سبل الحياة، وبذلك يتساوى مع الحشرات ويمكنه العيش في أمان، ويصبح كل «**ما أرغب فيه هو أن أزحف تحت الباب المتأرجح وأختبئ تحت الفرن، ألحس السمن، والعصير المتقطر من الخروف المشوي، بل حتى اللبن المجمد عند حافة صندوق القمامة، وفكرت في أنني أستطيع، بأسناني المحددة أن أكشط القطرات البيضاء إلى ما تحت الأرضية**»[2]، وهذا يعني أن شكله الصرصوري منحه فرصة التمتع بأشهى وألذ المأكولات، لسد جوعه والحصول على طبقات من المأكل التي لا يستطيع اقتنائها كبشري.

كما يمنحه **العالم السفلي** مكانة يتساوى فيها مع كل العالم ويصبح كل البشر في مستوى واحد، لذلك كانت الحاجة «**التي شعرت بها لتعرية العالم من كل شيء حولي [...] إنها حاجتي إلى بسط غطاء أبدي يغطي كل شيء، يحكم سد السماء ونافذتي ويحول العالم إلى لعبة حشرات**»[3]، وعند لجوءه إلى غرفته وإغلاق كل المنافذ التي يتسرب منها النور إلى الغرفة، وفي تلك العتمة يستطيع كحشرة أن يضع كل العالم في مستوى واحد ويتمكن بذلك فرض ذاته **الصرصورية** رغم كل شيء.

---

[1]- لطفي عبد الباسط: مقياس عمليات الضغوط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994، ص 105.

[2]- الرواية: ص 89.

[3]- الرواية: ص 51.

وفي نهاية الرواية قدمها الراوي بسلوك إجرامي (القتل) وهو نوع من الانتقام للحاضر وللماضي، فهذا السلوك ينطوي على شيء من القصد والنية يأتي به الفرد في مواقف الإحباط التي يعاق فيها إشباع دوافعه، أو تحقيق رغباته، فتنتابه حالة من الغضب وعدم الاتزانّ تجعله يأتي بسلوك ما يسبب أذى له أو للآخرين، والهدف من ذلك تخفيف الألم الناتج عن الشعور بالإحباط والإسهام في إشباع الدافع المحبط، فيشعر الفرد بالراحة ويعود الاتزان إلى شخصيته[1]. فحين يثبت ذلك الصراع داخله (بين حاضره وماضيه) حاضره المتمثل في محاولة محبوبته شوهره قتل شهيد بتصويب «**المسدس إلى الرجل**»[2] وماضيه المتمثل في الانتقام من ذلك الرجل «**دفعني مرة بلا سبب. كنت في إحدى الحانات أشرب [...] دفعني عن كرسي. وقعت على الأرض واندلق شَرابي علّي. نظر الرجل من جديد إلى التلفاز واستمر في مشاهدة مباراته**»[3] دون أن يكترث لأمره.

غير أن محاولة شوهره في قتل مغتصبها باءت بالفشل «**استغرقت طلقات معشوقتي وقتا طويلا جدا، وأخطأت الهدف، وانهمرت دموعها على الأرض. رأيتها، من خلال الفتحة في جدار المطبخ تركع ويداها ممدودتان، وسمعت صوتها يتغير. رأيت الرجل يقف منتصبا ويسوِّي ربطة عنقه [...] راقبت الحارس الشخصي وهو يمسك سريعا بيدها ويرجح معشوقتي [...]تدلّت من ذراعيه مثل حيوان مسلوخ على حبل مفلت**»[4] ويواصل المشهد حيث «**تقدم شهيد ولمسها. أمسك بيدها [...] راقبت ذلك كله يحدث كما لو أنه يحدث في مكان بعيد جدا**»[5] وهنا في هذه اللحظة تذكر ما حدث لأخته وقتلها على يد زوجها، إذا لم يستطيع الراوي فعل شيء أو الانتقام من زوجها، وكان الشعور الذنب يلازمه طوال حياته، وهذا ما جعله يركن بتلك الحالة الهستيرية «**رفعت ممسحتي مثل راية في ساحة المعركة، وسمعت طبول هنود يأتون من الشمال...**»[6] والتي جعلته كأنه يتأّهب لمعركة داخل حرب

---

[1]- حافظ نبيل وآخرون: الإحباط والعدوان، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص 2.

[2]- الرواية: ص 376.

[3]- الرواية: ص 376.

[4]- المصدر نفسه، ص 376.

[5]- الرواية: ص 378.

[6]- الرواية: ص 375.

ضروس، والتي يريد من خلالها الهروب من واقعه الذي لم يستطع تقّبله والتعايش معه. ففي تلك اللحظة أراد الانتقام لذكرياته والانتقام لحاضره، وكل تلك الأحداث جعلته يتمرد ليقتل شهيد وحارسه الشخصي فيقول: «**الحارس الشخصي طعنته بسكين في كبده**"[1] **وسقط المسدس من يده التقطته وصوبته على شهيد**»[2]، وبذلك يجد نفسه مجرما قاتلا، لم يستطيع أن يواجه نفسه بأخطائه ففضل الهروب والزحف فوق الماء «**ورأيت ورقة شجر يحملها مجرى من الصابون والماء كأنها جندول في البندقية، تسلقت على متنها واهتزت مثل غجري راقص، ووجهتها بأجنحة المتألقه إلى تحت الأرض**»[3].

إن الإنسان عادة ما يميل للهروب من أخطائه وبالتالي هروب من الذات. يهرب بتخيله أنه **صرصار** حيث يمتطي ورقة شجرة سابحا بها في مجاري المياه نحو المجهول وبهذا تحولت هجرته إلى كندا من حُلمٍ إلى وَهْمٍ كما وجد نفسه مدفوعا لهذا المجهول بكل غموضه.

جاءت أحداث نهاية هذه الرواية غير متوقعة البتة. نهاية مفتوحة ربما لنية الكاتب في مشروع لجزء الثاني.

من خلال هذا الفصل تبين لنا أن الذات تضطلع في السرد الروائي بوظيفة مغايرة تلك التي تنهض بها في نصوص التخيل. حيث تتركز غايتها في نقل التجربة الحقيقية واسترجاع تفاصيل الذاكرة وانفصلت عن مرجعيتها لتصبح أحد العناصر التي يبني فيها الراوي عالمه التخيلي. وبذلك استطاع أن يثبت ذاته بتلك الطريقة الغريبة التي انتهجها في تقزيم الآخر الذي كان يرى بأنه الأرقى والأهم في ذلك المجتمع الكندي بكشف خفاياه المجهولة للعامة.

---

[1]- الرواية: ص 379.

[2]- المصدر نفسه، ص 379.

[3]- المصدر نفسه، ص 379.

# خاتمة

إن التصدي لموضوع **"تصدع الهوية وتقصي الذات في الرواية المهاجرة"** أمر عسير للغاية، كما لا يمكن الإدعاء بإلمامنا بكل مفاصله، فبعد التقصي والبحث في رواية **"الصرصار"** لراوي حاج توصلنا إلى جملة النتائج تمثلت فيما يلي:

- أثبتت **الرواية المهاجرة** لنا أنها جزء مهما من تفاصيل المشهد الأدبي والروائي المعاصر، كما بينت أنها بلا تجنيس مكاني أو زماني للكاتب أي أنه يكتب في أي مكان وزمان ما دام ينقل راهن الإنسان إلى العالم.
- إن ما يميز تجربة راوي المرتبطة بتمثلات المهاجر وهو انفتاحها على مختلف الأجناس والأعراف البشرية الوافدة من مناطق عديدة من العالم وحتى الغير عربية: مما يجعل ظاهرة الهجرة إلى كندا ليست حكرا على العرف فقط.
- استطاع راوي حاج أن يثبت لنا تصدع الهوية الدينية والأخلاقية والقومية وكذا القيم الإنسانية من خلال الولوج في تفاصيل الآخر، إذ نستنتج فضح لأوهام الذات وانحرافاتها الفكرية والشعورية / التشرذم الذاتي.
- رغم التصدعات التي مست هوياتهم وذواتهم إلا أن بطل الرواية استطاع إثبات ذاته في خضم المآسي التي لاقاها في الهجرة.
- الشعور الحاد بالخسارة هو تصدع لاالتمام له، لذلك يمكن القول أن العيش في الفضاء الآخر يتطلب تخلي الشخص عن ثقافته وعاداته وتقاليد بلاده وأن يذوب تماما في ثقافة الدولة المستضيفة، ويبدوا أن بطل الرواية واحد من الشخصيات التي تعيش في هذا الفضاء.
- لقد تعّمد الراوي التنويع من النماذج المهاجرة في روايته ليبين للقارئ العربي والغربي على حد سواء الفروق الواضحة في التعاملات، وهي ما كان يعتقده غير لائق خاصة في التعامل مع المهاجر الشرقي، وهو عكس التعامل مع المهاجر الفرنسي مثلا.
- يمكننا القول أن الراوي أعطى صورة سلبية عن المهاجر العربي، وكأنه لا يعرف غير لغة القتل والسرقة...

- **الصرصار** هو إنسان ناقم على الحياة، ساخط على كل شيء في الوجود، هو لعنة بحد ذاتها. هو إنسان تجسّدت من خلاله كل كمية التيه التي لازمت الجنس البشري منذ أن وجد، وقد أصيب بلعنة إدراكه فأصبح ناطقا باسم عجزنا عن بلوغ الحقيقة فقد تحول إلى متشائم لا من عجزه وإنما من هذا التفاؤل المفرط.
- **الصرصار** هي رواية متشكلة من مقاطع سردية ومبعثرة، توزعت عبر أزمنة وأمكنة مختلفة، كأنها ترفض التقليد بأدبيات الكتابة الروائية المعهودة على التسلسل وتتابع الأحداث.
- أعطت الرواية صورة دالة على الأثر العميق للهجرة بين الداخل والخارج وبين الفرد والجماعة.
- قدم الراوي حياة البطل المليئة بالمغامرات الماجنة لتعبر عن هوية سلطوية فاسدة.
- لعلّ الرواية استعملت إستراتيجيات سردية لتكشف لنا عن الحقد الدفين الذي يكنه الآخر لكل ما هو عربي، فالأزمة المرتبطة بالآخر إذن هي أزمة هوية، لأن هذا الآخر يرفض دخولنا إليه ليس خوفا على هويتنا بل خوفا على هويته.
- بينت لنا رواية "**الصرصار**" فعلية اللامواجهة التي تصور الإنسان في حالة اغتراب وهروبا من الواقع بدلا من الكفاح والسعي للتغيير، وهذا لا ينفي بعض المحاولات الساعية للتغيير والبقاء.
- سعي المؤلف إلى رسم رؤية البطل مبرزا أثر التحولات المحيطة به في بيئته النفسية والفكرية، ذلك أن المؤلف هو يكتب يعيش صدى اغتراب داخلي وخارجي.
- بطل الرواية كان كائنا متألما وساخطا على كل ما أوجده الإنسان من مآسي فكدست فوق بعضها البعض، فأخفقت بالتالي حقيقة وجود هذا الإنسان البسيط والتافه، لذا نراه قد حاول العيش بشخصيته الصرصورية لهدم ذلك الجدار الحاجب لإظهار ما تم إخفائه.

- نستطيع أن ندرك في الرواية مدى الخيبة الناجمة عن إيمان شخص بأحلام جميلة ما إن اكتشف ماهيته الواهية حتى راح يبددها بتقطيع أواصل نفسه بغضب ونقمة عارمة.
- يمثل بطل الرواية نسخة عن بعض الشباب المقتنعين بأن الهجرة إلى الآخر هي الحل الأمثل للهروب من معاناتهم في وطنهم الأم.
- استطاع راوي حاج أن يلامس واقع المهاجرين بقلمه بلسان إنجليزي وتمكن من أن يجمّع لكل تلك الأزمات التي مرت بها مختلف البلدان الشرقية وحتى تسليط الضوء على شيء من ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم.
- تمكّن الراوي أن يصور مشهد للانتهازية من خلال المعالجة النفسية التي كانت كل ما يهمها أن تعرف صدى إذا كان صالح للتعايش مع مجتمعها ولا يهمها التعامل معه كإنسان، ومن خلال ذلك بيّن الجوانب اللاإنسانية للآخر.
- لقد أخضع راوي حاج شخصية المهاجر في روايته إلى جملة من التحديات المصيرية التي تواجهه في الغربة، مصورا لنا معاناتها في ظل وجود الكثير من ملامح العنصرية والتحيز العرقي، رغم انتشار مقولات الحوار وتقبل الآخر المختلف.
- لقد نجحت الشخصيات المهاجرة في محاولة إثبات ذواتهم محققين بذلك قفزة نوعية رغم كل المعيقات.

# قائمة الملاحق

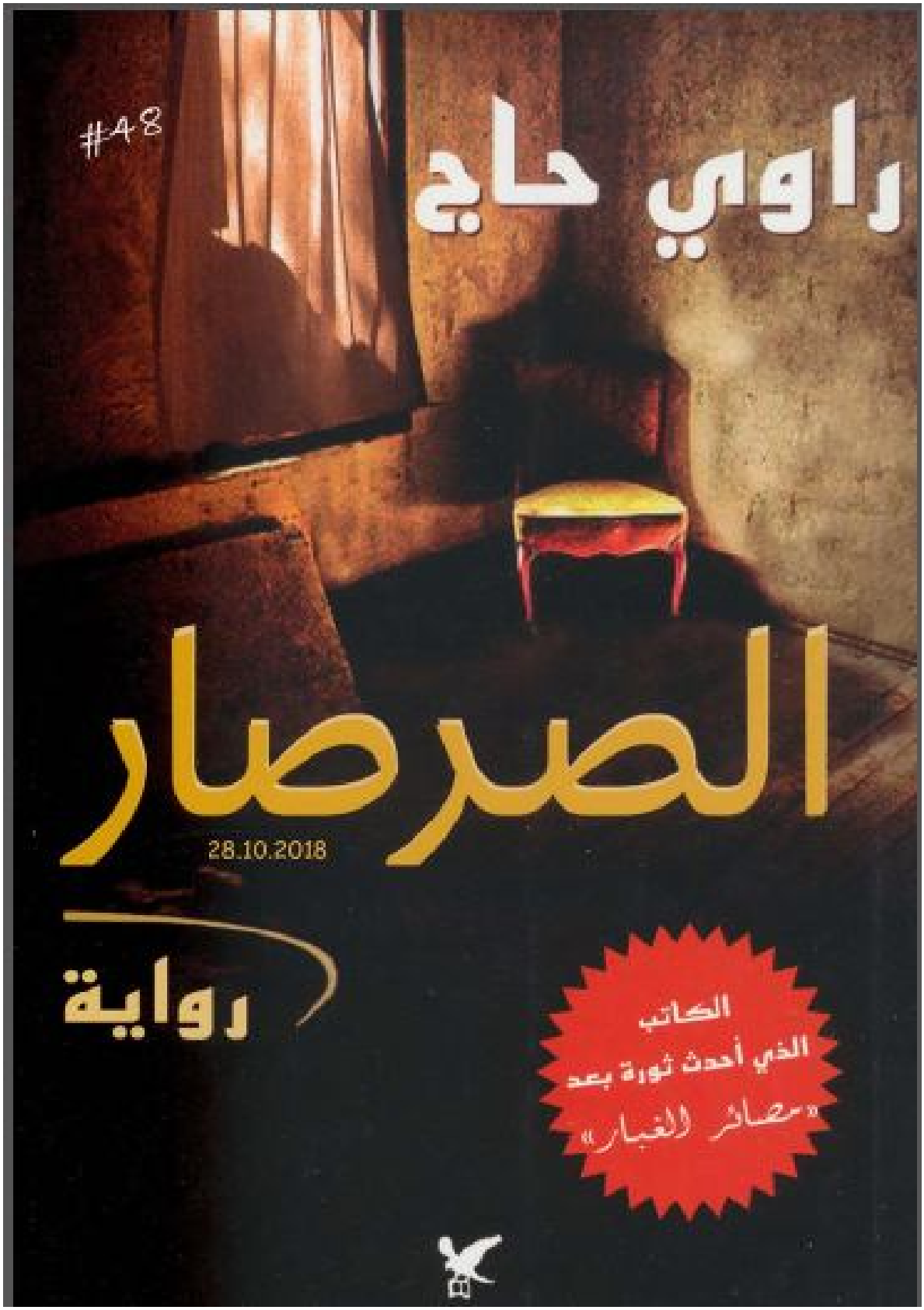
#48
راوي حاج
الصرصار
28.10.2018
رواية
الكاتب
الذي أحدث ثورة بعد
«صائد الغبار»

## السيرة الذاتية للراوي: "راوي حاج"

**حياته:**

ولد راوي حاج في بيروت في الأول من يناير 1964، ترعرع بين بيروت وقبرص ثم انتقل إلى نيويورك عام 1982، درس اللغة الإنجليزية، عمل في البداية كبائع متجول ثم نادل في مطعم، ثم كسائق سيارة أجرة، وفي عام 1992 انتقل للعيش في مونتريال بكندا حيث درس التصوير، والتحق بجامعة كونكورديا، بدأ بكتابة القصص القصيرة، فنشر مقالات وقصص قصيرة ثم انكب على الكتابة الروائية، كما عرضت بعض أعماله التصويرية في المتحف الكندي للحضارة في أوتاوا.

**عمله بالكتابة:**

نشر حاج العديد من القصص القصيرة خاصة ذات الطابع الخيالي في المجلات الكندية والأمريكية، ورشحت روايته الأولى "لعبة دي بيرو" لجوائز كندية وعالمية، ونالت عدد من الجوائز وترجمة إلى أكثر من عشرين لغة حية، وتدور أحداثها في بيروت زمن الحرب الأهلية اللبنانية وفاز بجائزة "أنباك دبلن" الأدبية لعام 2008، كما حصلت أيضا على جائزتين من كيبيك، وهما جائزة هيو ماكلينان للأدب التي يمنحها إتحاد كتاب كيبك، وجائزة مكاسلان الأولى للكتاب، وترجمة إلى اللغة العربية في عام 2008 تحت اسم "مصائر الغبار".

نشرت روايته الثانية للصرصار في عام 2008 ورشحت لجائزة جيلر وجائزة جافرنر جينرال، وجائزة روجرز لأدباء الخيال، وحصلت على جائزة هيوماكلينان للخيال في عام 2008، كما حصل على ذات الجائزة في 2012 عن رواية "كرنفال" وفي أغسطس 2013 حصل على لقب الكاتب التاسع لمكتبة فرنكفور العامة، أيضا رشحت روايته "جمعية بيروت هلفاير" لجائزة جيلر لعام 2018، ولجائزة روجرز لأدب الخيال، وجائزة جافر جينيرال للأدب الخيال باللغة الإنجليزية.

**ملخص الرواية:**

في مدينة مونتريال بولاية كندا شمال أمريكا، المدينة القاسية بأجوائها الباردة والعواصف الثلجية، داخل غرفة بالية وقديمة ضمن بناية مهترئة وبائسة يسكن الراوي وهو غير معرّف باسم معين، هو نصف بشري ونصفه الآخر حشرة "**صرصار**" كما يدّعي وأنه ينتمي إلى عالم سفلي حقير، هذا الراوي يغرق في حب شوهره وهي امرأة من طراز خاص، تتمتع بجمال جذاب وروح قوية ومتمردة، مهاجرة إيرانية تركت بلادها في ظل الثورة الإيرانية، بعدما تعرضت للاعتقال نتيجة مشاركتها في التظاهرات الطلابية وتبقى في السجن مدة ثلاث سنوات، تعذب وتغتصب على يد رجل من النظام الإيراني يدعى "رشيد"، ولم تكن "شوهره" وحدها من هاجر إلى كندا قبلها كان "مجيد" وهو شاعر وثوري يساري نجا من الاعتقال وهو صديق خال "شوهره" الذي أعدم من قبل النظام، و"مجيد" يترك الشعر والصحافة ويعمل سائق التاكسي لكسب عيشه، وأيضا المهاجر "رضا" عازف آلة موسيقية الذي يهرب عندما شعر أن الخطر يهدده وكان قد عزف للإمام الخميني وحاول أتباع الإمام كسر أصابعه عندما عزف لحنا غير إسلامي، ويعيش على العزف في المطاعم والبيوت الغنية من أجل الطعام والشراب والحشيشة. والشاب "فرهود" مثلي الجنس يعتقل مع مجموعة منهم ويودع السجن مع النساء وبعدها يسجن في سجن انفرادي حتى يستغله ملتحٍ في دائر السجن ويجبره على ممارسة الجنس ويحصل على موافقة منه حتى يطلق سراحه على أن يعيش معه كخليل ويستطيع الهرب بثياب امرأة عبر أفغانستان.

والبروفيسور "يوسف" جزائري يهرب من الحرب والديكتاتورية ويعيش في غرفة حقيرة ويقضي وقته في مقهى أرتيستا... مجموعة المهاجرين يهربون من بلدانهم شرق الأوسطية ويلتقون هناك في بلد الغربة ينتظرون المعونات ويعيشون حياة التشرد والضياع والبؤس.

بعد محاولة انتحارية فاشلة للراوي يودع مشفى الأمراض العقلية ويخرج منها على أن يراجع المعالجة النفسية جنفييف في عيادتها من أجل وضع تقرير عن حالته النفسية. وعبر اعترافاته نكتشف سردا آخر لماضيه فيه حكايات غريبة عن أبيه المغامر والسكير وأمه التي

تعاني من مرض الوسواس العصبي، وأخته التي تحلم برجال ملتحين يحملون السلاح، وعن "أبو رورو" صديقه الذي تعرف عليه وتعلم منه السرقة والاحتيال، وعن زوج أخته "طوني" وهو من رجال الميلشيات وشخصيات أخرى وأحداث سوداوية يسردها بصيغة اعترافات رجل أقبل على الانتحار ويحتمل أنه بسبب ماضيه الذي هرب منه بعد مقتل أخته على يد زوجها "طوني" الميلشاوي وقضى طيلة فترة وجودهما يمارس عليها كل أنواع العنف والاستغلال خاصة بعد أن أنجبت له بنتا وكان كل أمله أن يكون المولود ولدا.

كما بينت الرواية عجز الراوي عن السيطرة على هذا العالم المتردي الذي تحكمه بالسلاح قوة شريرة متشددة وفاسدة، وحاضر يهرب إليه ليلتقي بمهاجرين مثله هربوا من بلدانهم ليجدوا أنفسهم بلا وطن وحيدين ضعفاء يعيشون على الإعانات إن وجدت. كل هذا السرد يأتي بلسان السارد المشارك فيه والعالم بتفصيلات حياة الشخصيات وهو البطل الذي لا اسم له بوصفه هو السارد لنا عن شخوص وأحداث وزمن ومكان الرواية، ويتناوب السرد بين زمنين: زمن الحاضر يمثل حياته اليومية هناك في مدينة كنادية اسمها "مونتريال" في شمال أمريكا، مدينة مغطاة بالثلوج والعواصف الثلجية الباردة والقاسية في أجوائها متسكعا بين ملاهيها ومقهاها "أرتيستا" وهو مكان يؤمه المهاجرين بين رسامين وسياسيين وفنانين وثوار إيرانيين.

اعتمد راوي حاج تقنية التشظي في الزمن عبر انتقاله بالسرد من سرد الحاضر واليومي المليء بالأحداث المأساوية بين البحث عن العمل والتسكع وحياة التشرد والعوز وبين ماضٍ يسرده بقصص تثير المعالجة على قساواتها، وهذان العالمان يتشكلان عبر سردية غرائبية اعتمد فيها تقنية التصوير والرؤية لسرد المشاهد، إنهما يتشابهان ويعطيان رؤية لواقع الشرق الأوسطي، حيث البلدان التي تسيطر عليها الحروب والطوائف الدينية التي تتلاعب بمصائر العباد من قتل وترويع واستغلال واضطهاد واعتقالات ومساومات من قبل جهات منحرفة وقاتلة... عبر تقنية التصوير والرؤية والوصف التي تتمتع بها الرواية. استطاع راوي حاج أن يبني روايته بطريقة جميلة وغرائبية تشد الملتقي وتربطه برباط قوي،

فهو يصف وكأنه يجعلك أمام فيلم سينمائي وهو لا يصور فقط ما تراه في الخارج بل يسحبك معه إلى الأعماق في الأماكن السفلية التي لا تُرى بقدر ما تتخيل إنه يقحمك بعوالم غريبة ومشوقة. إن الشخصية المحورية في الرواية شخصية السارد، الشخصية التي هربت من المواجهة الذاتية "الصرصار" الذي يدور حوله الرواية ويسردها من وجهة نظره. العالم بكل الشخصيات وماضيها وحاضرها، شخصيات رئيسية وثانوية، فهو يرتبط مع الجميع في علاقة غريبة، يضع نفسه أمامهم عاريا كاشفا عن طبيعته الواضحة التي لا تدعي بقدر ما تكون على سَجيّتها، سارق، محتال، وسخ وهارب، ومتسلل لبيوت الغير ولا يواجه ولا يقدر أن يشارك هذا العالم ولا السيطرة عليه، له القدرة على اختراق الأماكن والقلوب، ومع أن الجميع يعرفونه ولكنهم لا يرفضونه بل يتحاشونه إلا "شوهره" فهي حبيبته التي يقضي معها حتى لياليه، ويمارس معها كل أنواع الجنس... ينتقلها من شهيد عندما يُقدم إلى كندا من أجل عقد صفقة أسلحة خفيفة لإيران وتتعرف عليه "شوهره"، ويقوم بسرقة مسدس ويعلمها كيف تطلق النار، ويخبرها بقدوم شهيد للمطعم وتأتي "شوهره"لتنتقم ولكنها تُخفق، فيقوم هو بقتل شهيد وحارسه ليعود أدراجه إلى شخصيته الصرصورية ويختفي في البالوعة مع المياه إلى عالمه السفلي.

استطاع راوي حاج أن يخلق عالما غرائبيا ممتلئا بالأحداث والشخصيات في الحاضر والماضي عبر تقنية الاسترجاع ويختار شخوصه بعناية، كما استطاع أن يشرحهم ويتعمق في كشف أعماقهم. شخصيات ليست مناضلة ولا بطلة بل شخصيات مهمشة وضعيفة... ينشئ علاقات بين شخصية البطل "الصرصار" وبقية الشخصيات علاقة قوية، أولها مع "شوهره" وثانيها مع المعالجة النفسية التي تستمع لاعترافاته بقصص عن القاع فيتلاعب بأعصابها كما يحلو له ويجعلها مهووسة به وبقصصه، يتحدث بطريقة سحرية كما يدور في هذا العالم الذي يعتقد أنه سينتهي ويحترق ولا تبقى سوى الصراصير التي ستحكم بعد أن تقوم الدنيوية. راوي حاج خلق شخصية روائية فاقت حدود التصور وجعلها بطل الرواية وراويها، تتمحور حول جميع الشخصيات وترتبط به بعلاقة يحركها ويتفاعل معها بطريقته

الغريبة الساحرة فهو يستغلهم ويحتال عليهم ويتسلل بيوتهم ويسرقهم وفي الوقت نفسه كان واضحا وحقيقيا ومبتذلا، وخصوصا في علاقاته مع النساء، حيث المعالجة جنيفييف كان يقص عليها الأكاذيب لمجرد أن يستغل طيبتها ويبقى خارج المشفى، وسيلفي وصديقاتها يمارس معهن الجنس ويستغلهن ويسرق حقائبهن، وابنة صاحب المطعم سحر يتجسس عليها وهي تمارس عادتها السرية ويستدرجها لمنزله ليرى ذلك أمام عينيه، وجارته ماري يحضر حفلاتها من أجل الطعام والشراب، وزوجة الناطور يشاركها سرقة المرأة العجوز، والبنغالية يراودها وصديقة أخته يستغلها من أجل السرقة.

# قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش بن نافع.

**المصادر:**

1) راوي حاج: الصرصار، تر: أنطوان باسيل، تر: روحي طعمة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

**المراجع:**

**المراجع بالعربية**

**1)** أحمد يحق الزق: علم النفس، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2006.

**2)** أشرف حافظ: الهوية العربية والصراع والصراع مع الذات (دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم)، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012.

**3)** أميرة علي الزهراني: الذات في مواجهة العالم (تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

**4)** أنيس الخوري المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، جامعة بيروت الأمريكية، منشورات كلية العلوم والآداب "1885-1977، بيروت، 1952.

**5)** إبراهيم أحمد أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعارف، القاهرة، 1997.

**6)** إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر عوامل التبادل الحضاري في الكتابات العربية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2008.

**7)** إسماعيل حاجم: الصراع الحضاري في الرواية الفرنكفونية المغاربية، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.

**8)** الحامد معجب: دور المؤسسات التربوية غير الرسمية، مركز الأبحاث مكافحة الجريمة، الرياض.

**9)** الطاهر لبيد: صورة الأخر العربي ناظر ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999م.

**10)** الناصر عبد اللاوي: الهوية والتواصلية في فكر هابرماس، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2012.

**11)** الورقي السعيد: اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1984.

**12)** بول ريكور، حاتم الورقلي: الهوية والسرد، دار التنوير، تونس، د.ط، 2009.

**13)** بن جامين سبوك وآخرون: موسوعة العناية بالطفل، دار الملايين، بيروت، 1976م.

**14)** جليلة المليح الواكدي: مفهوم الهوية (مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة، وفي الانتربولوجيا وفي علم الاجتماع)، مركز النشر الجامعي، د.ط، 2010.

**15)** حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1984م.

**16)** حسن المودن: الرواية والتحليل النصي (قراءات من منظور التحليل النفسي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط1، 1430-2009م.

**17)** حسن حنفي حسنين: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.

**18)** حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية (تشابهات الإنسان بين الحلم والواقع)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2006م.

**19)** حورية الخميليش: الشعر وأنسنة العالم، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر العاصمة، ط1، 2018.

**20)** خالد بن سعود البشير: مكافحة الجريمة في المملكة العربية السعودية، الرياض، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

**21)** خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، العراق، د.ط، 2009.

**22)** رضا شريف: الهوية العربية وإشكالية العولمة في فكر الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د.ط، 2011.

**23)** رغدة شريم: سيكولوجية المراهقة، دار المسيرة، عمان، ط1، 2009.

**24)** سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

**25)** سامي محمد ملحم: أساسيات علم النفس، دار الفكر للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2009.

**26)** محمد سعد البازغي: شرفات لرؤية العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

**27)** سعفان حسن شحاتة: علم الجريمة، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1966.

**28)** سعيد إسماعيل علي: الهوية والتعليم، عالم الكتاب، ط1، 2005.

**29)** سليمان الأزرعي: دراسات في القصة والرواية الأردنية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997.

**30)** سليمان علي: دور الأسرة في تربية الأبناء، وحدة ثقافة الطفل بشركة سفير، 1994.

**31)** سهيل إدريس اللاتيني، دار الآداب، بيروت، ط10، 1979.

**32)** عالي شكري: ثقافتنا بين لا ونعم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1972.

**33)** عبد الحافظ سلامة: علم العنف الاجتماعي، دار اليازورة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.

**34)** عبد السلام بن عبد العالي: هايدغر ؟؟؟ هيجل (التراث والاختلاف)، دار التنوير، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2006.

**35)** عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

**36)** عبد الرزاق المخادمي: الهجرة السرية واللجوء السياسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2012.

**37)** عبد الله أيو هيف: الجنس الحائر(أزمة الذات في الرواية العربية)، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

**38)** عبد الله أبو هيف: القصة العربية الحديثة والغرب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1994.

**39)** عبير بسيوني رضوان: أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

**40)** عمر منيب ادلبي: سرد الذات(فن السيرة الذاتية)، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات، ط1، 2008م.

**41)** عيد إبراهيم: الاغتراب النفسي، الرسالة الدولية للإعلان، القاهرة، د.ط ، 1990.

**42)** فضيل دليو وآخرون: الهجرة والعنصرية في الصحافة الأوروبية، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، الخروب، قسنطينة، د.ط، 2003.

**43)** قحطان أحمد الظاهر: مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004.

**44)** لطفي عبد الباسط: مقياس عمليات الضغوط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994.

**45)** ماجد قاروط: المعذب في الشعر العربي الحديث ولبنان في عام 1945م، دراسة جمالية منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999م.

**46)** محمد الخيار: صورة الآخر في شعر المتنبي (نقد ثقافي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2009.

**47)** محمد الغزالي: أثر الإيمان في مكافحة الجريمة، أبحاث الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الإسلامي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ، 1977.

**48)** محمد جاسم الموسوعي: الرواية العربية النشأة والتطور، دار الآداب، بيروت، ط2، 1988.

**49)** محمود عباس يوسف: الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004م.

**50)** محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999.

**51)** محمد كاظم الجيزاني: مفهوم الذات والنضج الاجتماعي (بين الواقع والمثالية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة صادق الثقافية، عمان، ط1، 2012.

**52)** محمد كامل الخطيب: الشرق والغرب (القسم الأول 1870-1932)، ج1، سلسة قضايا وحوارات النهضة العربية رقم 06)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991.

**53)** محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

**54)** مصباح عامر: التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلاميذ المدرسة الثانوية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2003.

**55)** مصطفى الشرقاوي: علم الصحة النفسية، دار النهضة، العربية، 1966.

**56)** مصطفى عطية جمعة: ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، الورق للنشر والتوزيع، 2011.

**57)** منصور عبد المجيد سيد: دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر (الحنين إلى الأوطان)، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.

**58)** يوسف محمد عباس: الاغتراب والإبداع الفني، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004.

**المراجع المترجمة:**

**1)** أليكس ميكشللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993.

**2)** أمين معلوف: الهويات القاتلة، تر: جبور الدويهي، دار النهار، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

**3)** ايغوركون: البحث عن الذات (دارسة في الشخصية ووعي الذات)، تر: غسان نصر، دار مهد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، د.ط، 1992.

**4)** ايريك فروم: أزمة التحليل النفسي، تر: طلال غريبي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

**5)** باربرا أنجلر: مدخل إلى النظريات الشخصية، تر: فهد بن عبد اللطيف وليم، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، د.ط، 1991.

**6)** ثيودور رايك: سيكولوجية العلاقات الجنسية، تر: ثائر ديب، دار الهدى للثقافة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 2005.

**7)** جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، تر: كامل يوسف حسين، علم المعرفة، الكويت، 1984.

**8)** دافيد لوبروتون: الصمت (لغة المعنى والوجود)، تر: فريد الزاهي، المركز الثقافي للكتاب والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2019.

**9)** روجر كلارك وران آلماند: العنف الجنسي توثيق انتهاكات حقوق الإنسان من قبل ممثلي الدول (موضوع انتهاكات حقوق الانسان الخاصة بالمرأة والتي ترتكبها الدولة والمجتمع والأسرة في أوضاع النزاعات)، ط2، 2001.

**10)** رونيه أوبير: التربية العامة، تر: عبد الله عبد الدائم، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.

**11)** كارل غوستاف يونغ: جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1997.

**12)** هارلمبس وهولبورن: سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حميد حسين، دار الديوان للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2010.

## المراجع الأجنبية:

**1)** Arendt , A (1968). Imperialism : Part Two Of The Oerigins Of Totalitarianism, Sam Diege : Harcourt Brace Company .

**2)** MALEWSKA. P.M le processus de dévalorisation de l'identité et les stratégies identitaires.

**3)** MALEWSKA. P.H le processus la crise de d'identité et devances chez les jeunes immigres, la documentation française, paris 1982.

## القواميس والمعاجم والموسوعات


**1)** أيمن حمدي: قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2000.

**2)** الشريف علي بن محمد الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد الصديق، منشاري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د.ط، د.ت.

**3)** جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1863.

**4)** جميل صليب: المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية)، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982.

**5)** جميل صليب: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982.

**6)** عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

**7)** عبد الهادي الجوهري: قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث الأزرايطية، الإسكندرية، ط3، مارس، 1991.

**8)** محمد ألتونجي: معجم علوم العربية، (تخصص- شموليته-إعلام)، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

**9)** محمد يعقوبي: معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.

**10)** مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2007.


## المجلات والدوريات


**1)** بن علي لونيس: الهوية الثقافية، من الاختلاف الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري، مجلة تمثلات، عدد 02، جوان 2015.

**2)** جديدي زليخة: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد08، جوان 2012.

**3)** سلطان بلغيث: تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تبسة.

**4)** شرقي رحيمة: الهوية الثقافية الجزائرية وتحديدات العولمة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013.

**5)** عبد الرحمان بن درباش الزهراني: دور مكونات الذاكرة العاملة في التنبؤ باضطراب الوسواس القهري لدى عينة من المتدربين على مستشفيات الصحية النفسية بالمملكة العربية السعودية، رفاعة الدراسات والأبحاث، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، مج6، عدد2، 2019.

**6)** علي أسعد وطفة: استثنائية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، مجلة المستقبل العربي، العدد282، 2002.

**7)** طاوس وازي: ظاهرة الانتحار بين التغير الاجتماعي والتشخيص النفسي، دراسات فنية وتربوية (مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية)، عدد08، جوان 2012، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

**8)** قيس النويري: الاغتراب(اصطلاحا ومفهوما وواقعا)، مجلة علام الفكر، مجموعة 10، أفريل، ماي، يوليو، 1985.

**9)** مبارك بوعزي: الرواية المغربية النسائية تجليات المعنى وغياب الأنا، منشور في طنجة الأدبية، يوم 2011/07/03م.

**10)** منصور سمير: العولمة والهوية الثقافية للشباب الجزائري، مفاهيم وتجليات مجلة أفاق للعلوم، جامعة الجلفة، العدد07، مارس 2017.

**الرسائل الجامعية:**

**1)** بن علي قريش: الاغتراب في الشعر العربي الحديث، 1920-1945، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2007-2008.

**2)** بوعيشة آمال: جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب بالجزائر، أطروحة دكتوراه، اشراف: جابر نصر الدين، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014.

**3)** سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، إشراف: الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007-2008.

**4)** قادري حسين: دور القوى الإقليمية (إسرائيل، سوريا، م. ت.ف) في الحرب الأهلية اللبنانية وموقف الدولتين العظيمتين 1975، 1982، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، جانفي 1990.

**5)** حمري صارة: علاقة تقدير الذات بالدافعية للإنجاز لدى تلامذة الثانوي، مذكرة ماجستير، تخصص الصحة النفسية والتكيف المدرسي، إشراف: د. بوقصارة منصور، جامعة وهران، 2011- 2012.

**المواقع الإلكترونية:**

**1)** إتيان عبد: الوعي اللاوعي، لبنان، 29-05-2021، 19:09، عن موقع www.Philomalek-yolsite.com

**2)** جميل حمدواي: رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، مجلة الرائد تصدر عن دائرة الثقافة والإعلام، مقال من الأنترنيت: http//www.arrafid.ar.

**3)** لماذا المشاركة في الحياة العامة إثبات الذات؟ عن موقع http://www.kingjawab.com

**4)** منال شحادة: العمل حاجة وضرورة لتطوير الذات واكتشاف المواهب، جريدة الدستور، 30 أكتوبر 2019، 01:00 صباحا، متاح على الموقع: www.oldustour.com/articls/1110441.

**5)** هايل علي المذابي: معركة إثبات الذات وتحقيق الوجود، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 20 أغسطس 2009، عن موقع WWW.DIWAMAHARAP.COM

.

**ملخص:**

استطاعت رواية "الصرصار" لراوي حاج أن تحكي واقع الإنسان المهاجر بهدف احتواء آلامه وأحلامه رغم إستراتيجيته الفكرية، وحملت طرحا جديدا للهوية المتصدعة، الاغتراب الذاتي، والوقوف على سؤال الهوية في الرواية جاء محورا جوهريا. إذ نجح الراوي في تبيان تلك العقد الدفينة والسيكولوجية التي يعاني منها الفرد العربي وما مس بهوياتهم، خاصة حين اصطدامهم بثقافة الآخر الغربي. وقد اتضح الاضطراب والتأزم الذي مثلته الشخصية المهاجرة، إذ تعايشت مع الواقع والخيال ما أدى إلى اضطراب حالتهم النفسية وأصبحت الحياة عندهم عبارة عن تراجيديا بين الانتقام من الآخر ومن الذات وهذا كله تجسد في نهاية الرواية.

وبناء على هذا جاء بحثنا الموسوم بـ **"تصدع الهوية وتقصي الذات في الرواية المهاجرة"** ليعالج هذه القضية السابق ذكرها وقد تم تقسيمه إلى:

**مدخل** عنون بـ: الرواية المهاجرة وظروف هجرتها وموضوعاتها، أما **الفصل الأول** فوسمناه بـ: مظاهر تصدع الهوية وإنهيار خصوصية الأنا ووسمنا **الفصل الثاني** بـ: تقصي الذات وإعادة ترميم صدع الهوية.

**Résumé:**

Le roman "Le cafard" de Rawi Hadj a pu raconter la réalité de l'humain migrant dans le but de contenir sa douleur et ses rêves malgré sa stratégie intellectuelle, et portait une nouvelle question d'identité fissurée, d'auto-aliénation, et de se tenir sur la question de l'identité dans le roman est venu un objectif central. Le narrateur parvient à illustrer les nœuds profonds et psychologiques dont souffre l'individu arabe et ce qui a affecté son identité, en particulier lorsqu'il rencontre la culture de l'autre occidental. La tourmente et la crise représentées par le personnage immigré sont devenues apparentes, car elles coexistaient avec la réalité et la fiction, ce qui a conduit à leur trouble psychologique et la vie est devenue une tragédie entre la vengeance contre l'autre et le moi et tout cela est incarné à la fin du roman.

Sur cette base, notre recherche, intitulée "identity cracking and self-discovery in the immigrant novel", aborde cette question et a été divisée en:

Le premier chapitre s'appelait: manifestations de la fissure identitaire et effondrement de la vie privée de l'ego et nous avons marqué le deuxième chapitre avec: auto-investigation et restauration de la fissure identitaire.